التلاوة المغربية للقرآن الكريم

للأستاذ: أحمد الراضي

مدخل :

كان المغرب من جملة الأقطار التي شاءت عناية الله أن يشرق عليها نور الاسلام، وترفرف فوق ربوعها رايته، فاتجهت اليه جيوش الفاتحين، فلما أتم الله لهم فتحه، بادروا الى تعليم ابنائه كتاب ربهم، ومباديء الدين الجديد.

والطريقة التي يتبعها الفاتحون المسلمون في تعليم الناس في البلدان التي تم لهم فتحها، هي تعليمهم بصفة فورية ـــ قبل أن يتابعوا فتوحاتهم من جديد ـــ المباديء الضرورية التي لا يقوم الاسلام بدونها، ثم يتركون فيهم مجموعة من القراء والفقهاء يعلمونهم القرآن، ويفقهونهم في الدين، ويرسخون في أذهانهم مبادئه، ويشرحون لهم أهدافه النبيلة، حتى تنشرح لها صدورهم ويمتزج حبها بدمائهم، وهذا ما حدث بالفعل مع المغرب، فما أن تم لهم فتحه حتى شرعوا في تعليم أبنائه القرآن ومباديء الدين، وتركوا فيهم من يقيم بين ظهرانيهم الشعائر الدينية ويفقههم في الدين ذكر المؤرخون ان عمر بن عبد العزيز انزل «بافريقية عشرة من الفقهاء يعلمون الناس القرآن ويفقهونهم في الدين. وكذلك فعل موسى بن نصير، فرتب عددا من الفقهاء والقراء للغرض نفسه»[1].

وغير خاف أن الاسلام كلما دخل بلدا حمل معه دستوره القرآن، فالفاتحون حفظوه في صدورهم وحملوه معهم في مصاحفهم وقاموا بتعليمه للناس، وقد كان مصحف عقبة ابن نافع مشهورا في المغرب، وحافظ عليه ملوكه الى أن بعث به المولى عبد الله بن المولى اسماعيل الى الحرم النبوي مع هدية

سنية[2] وبناء على هذا فلا جدوى من البحث عن تاريخ وصول القرآن الى المغرب، فهو قد دخل اليه بدخول الاسلام.

وقد كان المغاربة منذ عهد مبكر والى الآن على قراءة مقريء المدينة المنورة الامام نافع المدني برواية ورش المصري، ففي القرن الثالث الهجري أمر أبو العباس عبد الله بن طالب القاضي الافريقي (المتوفى 275 هـ) ــ أيام ولايته للقضاء ــ ابنَ برغوث المقريء بجامع القيروان الا يقريء الناس الا بحروف نافع[3].

ويذكر المؤرخون أن قراءة حمزة هي السائدة في المغرب، واما قراءة نافع فلا يقرأ بها الا الخواص، ولم تكن شائعة في المغرب حتى عاد أبو عبد الله محمد بن خيرون الأندلسي الأصل القيرواني الدار من رحلته المشرقية التي قام بها في صدر المائة الرابعة وعاد إلى افريقية بقراءة نافع وشاعت منذ ذلك الوقت الى اليوم[4].

أما بخصوص الأندلس فأول من أدخل اليها قراءة نافع هو الغازي بن قيس (المتوفى 197 هـ)[5].

وأول من أدخل اليها رواية ورش هو محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي «فقد روى القراءة عن عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم عن ورش، ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش، وكانوا قبل ذلك معتمدين على قراءة الغازي بن قيس عن نافع»[6].

والقراءة المفضلة لدى المغاربة ولدى الأندلسيين هي قراءة الامام نافع برواية ورش. وهي المقدمة في الحفظ، وهي التي يقرأ بها في الصلوات، ويقرأ بها الحزب الراتب في المساجد، وهي التي يستشهد بها عند الاستشهاد بآية قرآنية ولا يسمح ــ عرفا ــ بحفظ القراءات الأخرى الا بعد اتقان قراءة نافع والانتهاء من ضبطها وكل ما يتعلق بها. وحب المغاربة لقراءة نافع دفع بعضهم الى القول بانها افضل ما يقرأ به في الصلاة، وانها قراءة أهل الجنة، ففي فهرست محمد بن سعيد المرغيتي[7] «وأفضل ما يقرأ به فيها ــ يعني في الصلاة ــ من الروايات رواية نافع من طريق ورش عنه، قاله محمد بن يحيى المغراوي في شرح الرسالة، لأني سمعت عن بعض أشياخي أنه بلغه أنها قراءة أهل الجنة في الجنة» وقال الحاج الحسن الباعقيلي[8]. «فحفاظ كتاب الله يدخلون الجنة متخرجين

بتلاوة معلومة برواية ورش، وذلك كشفنا ووجدانا... ثم رأيت الطلبة منا ما يقرأون منا ما يقرأون القرآن جماعة برواية ورش بين يدي الله تعالى في الجنة».

ولنا أن نتساءل ما السر في تقديم المغاربة قراءة نافع على غيرها، وتمسكهم بها منذ وقت مبكر والى الآن ؟ ولكن ليس لنا أن ندعي اننا نملك جوابا شافيا مدعما بأدلة قوية، وغاية ما نملك في الظرف الراهن ان نفترض افتراضين قد يكونان صحيحين معا وقد يكون أحدهما صحيحا، وقد لا يكون أي منهما صحيحا.

الافترض الأول.. ان المغاربة تمسكوا بقراءة نافع لانها قراءة الامام مالك، فالمغاربة معرفون بتمسكهم بالمذهب المالكي، وحبهم للمذهب دفعهم بالضرورة الى اجلال صاحبه، وحبه حبا عظيما، وينشأ عن هذا الاجلال وهذا الحب تقليده في اجتهاده واختياره، والامام مالك يفضل قراءة نافع لأنه شيخه في القراءة ولأنه مدني، وكلنا يعلَم مدى إجلاله لعلماء المدينة وعمل أهل المدينة، والمغاربة بحكم تمسكهم بالمذهب المالكي يقلدون مالكا في كل شيء ولا يبعد أن يكون تمسكهم بقراءة نافع من باب تقليد الامام مالك معتقدين أن ذلك مما يفرضه عليهم التزامهم بالمذهب.

وقد اقتصر على هذا الافتراض واعتبره صحيحا السيد ابراهيم المارغاني في كتابه «النجوم الطوالع على الدرر اللوامع»[9] حين قال : «وان من القراءات المتواترة المحررة، قراءة الامام نافع التي هي سنة أهل المدينة المنورة وبما قرأ أمام الأئمة مالك بن أنس عن امامها المذكور، وقال : قراءة نافع سنة كما رواه عنه ابن وهب وسعيد بن منصور، وأكثر علماؤهم فيها من التصانيف وألفوا قواعدها وأحكامها أي تاليف».

وإذا صح هذا الافتراض فالمغاربة مالكيون في كل شيء، في المذهب اذ هم على مذهب الامام مالك، وفي القراءة اذ هم على القراءة التي عليها الامام مالك وفي العقيدة، اذ هم على العقيدة السلفية التي عليها مالك، ومعلوم أن المغاربة على العقيدة السلفية و لم يتحولوا عنها الى الأشعرية الا في عهد الموحدين.

الافتراض الثاني : ان قراءة نافع فرضت رسميا على المغاربة، ويساند هذا الافتراض ما تقدم من أن القاضي الافريقي عبد الله بن طالب أصدر أيام ولايته

للقضاء الأمر لابن برغوث المقريء بجامع القيروان الا يقريء الا بحرف نافع.

واذا اعتبرنا هذا الافتراض صحيحا، فكل شيء مفروض رسميا على المغاربة، فالمذهب المالكي ــ اذا سايرنا مقولة ابن حزم ــ فرضته الدولة على الناس. والعقيدة الأشعرية فرضتها الدولة الموحدية على الناس، وقراءة نافع فرضتها الدولة.

ان ما ذكرنا مجردا افتراض، وقد تكون أسباب أخرى غير ما ذكرنا.

واما القراءات الأخرى ــ غير قراءة نافع ــ فأول من أدخلها الى الأندلس أبو عمر الطلمنكي (المتوفى سنة 429 هـ) والمغرب تأثر كثيرا بالأندلس في الجوانب العلمية المختلفة نظرا للعلاقات التاريخية التي تربط بينهما.

وأما المصاحف التي دخلت الى المغرب وحفظ التاريخ اسماءها، فأولها مصحف عقبة ابن نافع وقد نسخه في مدينة القيروان من المصحف العثماني[10].

وثانيها المصحف العثماني الذي كان عند ملوك بني أمية في الأندلس حتى نقل الى المغرب في عهد عبد المومن الموحدي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة[11].

المبحث الأول :

اهتمام المغاربة بالقرآن الكريم

كان المغاربة في بداية الأمر قد قاوموا الفتح الاسلامي مقاومة عنيفة اعتقادا منهم انه غزو يستهدف نهب خيرات البلاد واستعباد العباد، ولكن ما ان عرفوا حقيقة الاسلام، وسمو دعوته وشرف مقاصده حتى فتحوا للفاتحين بلادهم، وفتحوا للاسلام صدورهم واقبلوا على دستوره ــ القرآن ــ يستلهمون معانيه وهدايته، فشغلوا أوقاتهم بحفظه وتلاوته وتفهم معانيه، وصاغوا سلوكهم وفق تعاليمه ومبادئه وعظموه في نفوسهم وعظموا حامليه.

وقد استشعر المغاربة عظمة القرآن منذ صلتهم به واستولى حبه على نفوسهم فاعتنوا به عناية تامة، واهتموا بكل ماله ارتباط به سواء تعلق بالحفظ والضبط أم تعلق بالفهم والمعنى أم تعلق بغيرهما، فاهتمامهم به غير مقتصر على ميدان دون ميدان بل هو اهتمام عمَّ جميع الميادين ونحن ــ اذ نستعرض فيما

يلي بعض الميادين التي يتجلى فيها هذا الاهتمام ــ لا نقصد الاستيعاب وانما نقصد ذكر أمثلة محدودة تعطي للقارىء الكريم تصورا واضحا عن مدى خدمة المغاربة للقرآن الكريم، ومدى ارتباطهم به.

وفيما يلي بعض ميادين هذا الاهتمام.

1 ــ الاهتمام بالحفظ :

للمغاربة اهتمام كبير بحفظ القرآن الكريم، وضبط رسمه واستيعاب رواياته وقراءته وقد عرف المغرب في كل جيل ــ وما زال ــ آلافا من الحفاظ والمتقنين الذين هم ــ بفرط حفظهم واتقانهم ــ مصاحف تمشي على الأرض : اتقنوا الحفظ وضبطوا الرسم، واستوعبوا الكلمات المتشابهة، وأحصوا الكلمات المفتوحة والمرفوعة والمكسورة، والكلمات التي فيها الالفات (المحذوفة) والتي فيها الالفات (الثابتة) والكلمات التي تكتب بتاء (مبسوطة) والتي تكتب بتاء (مربوطة) وضبطوا الاشباه والنظائر.

واستوعبوا ذلك كله استيعابا منقطع النظير لا يملك معه المرء الا الوقوف اجلالا أمام قوله تعالى : ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ فهؤلاء هيأهم الله لحفظ كتابه بفضل همهم العالية وذواكرهم القوية.

ولا يقتصر اهتمامهم من حيث الحفظ والاتقان على قراءة الامام نافع وان كان لها الحظ الأوفر من اهتمام الكثيرين منهم، فقد استوعبوا القراءات السبع والقراءات العشر، بحيث يستطيع الواحد منهم ان يقرأ القرآن بجميع الروايات والقراءات في آن واحد.

وقد نتج عن هذا الاهتمام ما تزخر به المكتبة المغربية من عشرات المؤلفات في القراءات والدراسات التي تهتم بحفظ القرآن وضبط رسمه.

وقد كان المغاربة بفضل هذا الاهتمام عمدة المشارقة في القراءات، وضبط القرآن ورسمه فمن يتصفح تراجم القراء من المشارقة ويقرأ اسانيدهم في القراءات ومؤلفاتهم فيها وفي رسم القرآن وضبطه يجد مدى اعتمادهم على المغاربة في هذا الشأن، وحتى المصاحف المطبوعة باتقان فاعتماد طابعيها في الرسم وغيره كان على مؤلفات المغاربة ومن أخذ عنهم.

وقد ساعد المغاربة على هذا الحفظ المتقن تبكيرهم بحفظ القرآن، فأول ما يبدأ به الطفل المغربي هو حفظ القرآن، بحيث يشتغل بحفظه وهو ابن اربع أو خمس سنوات في الغالب، ولا يأتي عليه عامه الثاني عشر تقريبا الا وقد حفظ قراءة نافع حفظا متقنا ثم ينطلق بعد ذلك في استيعاب القراءات الأخرى.

ولا شك أن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر لأن الحافظة في هذه المرحلة تكون في أوج قوتها.

2 ــ الاهتمام بالتفسير :

المغاربة كجميع المسلمين يحبون ان يفهموا كتاب ربهم حتى يستطيعوا ان يهتدوا بهديه، ويصوغوا سلوكهم وأخلاقهم وفق قالبه، فأكبوا على دراسته وتفسيره وبذلوا جهودهم في استنباط أحكامه والتعرف على أسراره ومراميه فاثروا المكتبة القرآنية ــ نتيجة لذلك ــ بتفاسير ودراسات قيمة تساعد على فهم كتاب الله عز وجل.

واذا كان المغاربة في ميدان حفظ القرآن وضبطه قد تفوقوا كثيرا على المشارقة، فان انتاجهم في مجال التفسير دون ما للمشارقة فيه، والسبب في ذلك أن المغاربة يتهيبون القرآن ولا يجرؤ الا القليل منهم على القول في كتاب الله بالرأي الشخصي ولو قام أكثر من دليل على وجاهته.

وأيضا فان المشارقة بفضل تقدمهم في التفسير لم يتركوا للمغاربة مجالات واسعة يبدعون فيها ويجيدون.

والمغاربة ــ وخصوصا القدامى ــ يأنفون من التكرار ولا يحبون ان يؤلفوا مؤلفات يكررون فيها ما قال غيرهم دون أن تكون في ذلك فائدة، فلذلك تتسم المؤلفات المغربية ــ ومازالت ــ بنوع من الابتكار والجدة، بخلاف المؤلفات المشرقية فطابعها العام التكرار، فما قال هذا يعيده هذا بلا زيادة ولا نقصان ولا تعليق مقبول.

ويستطيع الشخص ليتأكد من هذا أن يعود الى آية واحدة في عدة تفاسير مشرقية فسيَجد التكرار بعينه مما يجعل المرء يتساءل : لماذا هذه التفاسير مادامت لم تأت بشيء جديد؟

ولا يفهم من قولنا أن انتاج المغاربة في التفسير دون انتاج المشارقة، وأن حضور المغاربة في مجال التفسير لا قيمة له، بل لهم فيه حضور مهم، وتفاسير قيمة ودراسات قرآنية هامة ويكفي للاطلاع على بعض ما لهم في هذا المجال الرجوع إلى مؤلف عبد العزيز بن عبد الله (معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى) والى «النبوغ المغربي» للأستاذ العلامة عبد الله كنون.

وان الذي أريد أن أنبه اليه. هو أننا اذا وازنا بين ما للمشارقة وما للمغاربة من جهود في حفظ القرآن وضبطه نجد كفة المغاربة راجحة، واذا وازنا بين جهودهما في التفسير نجد كفة المشارقة راجحة.

3 ــ الاهتمام بنسخ المصاحف :

من مظاهر اهتمام المغاربة، بالقرآن الكريم وتعلقهم به كثرة كتابهم للمصاحف حتى كان من النادر وجود حافظ لكتاب الله لم ينسخ في حياته مصحفا واحدا الأقل، واما الذين ينسخون عدة مصاحف فحدث عن البحر ولا حرج، فهم الغالبية العظمى من حفظة القرآن، وقد نسخ عبد الله بن عبد الرزاق العثماني (المتوفى 1027 هـ) ما يزيد على سبعين مصحفا[12].

وشاع عن محمد بن عبد الله الانصاري البلنسي المعروف بابن عطوس (المتوفى 610 هـ) انه كتب ألف نسخة من كتاب الله[13].

وكتب الحاج المعطي التادلي الفاسي (المتوفى 1262 هـ) خمسمائة مصحف[14] وكتب أحمد بن محمد بن حسن النفزي الرندي الأصل ثم الفاسي المعروف بالسراج (المتوفى 759 هـ) نحو ثلاثمائة مصحف[15]. وكتبت فاطمة بنت علي بن محمد الزيادي المنالي الحسني (المتوفاة عام 1142 هـ) ما يربو عن خمسة وثلاثين مصحفا[16].

وقد اعتبر المغاربة نسخ المصاحف من العمل الصالح الذي يتقرب به العبد الى مولاه ــ وهو كذلك ــ فاكثروا من نسخها ووقفها على الأماكن التي يؤمها الناس للقراءة : المساجد، والرباطات، والمدارس، والحرمين الشريفين : المكي والمدني. والمسجد الأقصى، ويستوي في ذلك عامتهم وخاصتهم، فهذا السلطان أبو الحسن المريني كتب بيده مصحفين شريفين، واستدعى مهرة الصناع وأرباب الحرف لتنميقهما وتذهيبهما وزخرفتهما، وبعث بهما الى الحرمين الشريفين[17]ووقف عليهما أوقافا في المشرق يخصص ريعها لمن يقرأ فيهما[18].

واختلف المؤرخون هل كتب ثالثا وبعث به الى المسجد الأقصى أم [19]. وبعث السلطان العلوي المولى عبد الله بن المولى اسماعيل سنة خمس وخمسين ومائة وألف للهجرة الى الحرم النبوي ثلاثة وعشرين مصحفا محلاة بالذهب والدر والياقوت[20].

4 ــ **احترام حفظته** : فحافظ القرآن في المجتمع المغربي له مكانة مرموقة في نفوس الناس، ولا سيما اذا كان مستقيما تمام الاستقامة في سلوكه، نزيها في معاملاته، فالجميع يجله ويعظمه لأن صدره وعاء لكتاب الله عز وجل.

ومن مظاهر هذا التعظيم انه يدعى للحضور في الأمور التي تتطلب عقلا راجحا وسلوكا مستقيما مثل قضايا الزواج وكتابة العقود المهمة، والادلاء بالشهادة وحل المنازعات التي تنشب بين الناس من حين لآخر، كما أن من مظاهره أيضا اعفاءه من كثير من تكاليف العيش، ومن التكاليف العامة التي تفرض على الناس وايثاره بصدور المجالس وبالأطعمة الفاخرة، واطراق الرؤوس اجلالا له، والاستماع بشوق الى حديثه. وطلب الدعاء الصالح منه، الى غير ذلك من أنواع التعظيم النابع من الاعتقاد بأن حملة القرآن أهل الله وخاصته وانهم مفضلون على غيرهم حيث اختارهم الله حملة لكتابه.

ويلاحظ أن هذا التعظيم أخذ يتضاءل شيئا فشيئا بعد هبوب رياح الحضارة الغربية على المغرب، وسيطرة حب المادة على الناس، حتى أصبح الآن حافظ القرآن في نظر بعض الناس شخصا تافها في الحياة لا قيمة له. قليل التفكير، ناقص العقل، عاجزا عن تدبير شؤونه فضلا عن تدبير شؤون غيره، وما هذه النظرة السلبية الا لأن الناس ينظرون إلى الدين والحاملين لواءه نظرة الأوربيين لهم، معتقدين أن هذا القرآن لا أهمية له في الحياة. ورغم هذه النظرة التي ينظر بها بعض الناس الى حملة القرآن، فالناس المتمسكون بدينهم يحترمونهم أيما احترام معتقدين أن احترامهم إنما هو احترام لكتاب الله.

5 ــ **العكوف على تلاوته** : وشغل أوقاتهم بها آناء الليل وأطراف النهار، وسنتحدث عن هذا فيما بعد بنوع من التفصيل.

6 ــ **بناء المدارس لتحفيظ كتاب الله** وتفهم معانيه وأسراره.

اعتنى المغاربة ببناء المدارس ليتعلم فيها أبناؤهم القرآن وغيره من العلوم

النافعة وتحملوا كل شيء في سبيل ذلك، فقدموا المؤنة للتلاميذ والشيوخ، وبنوا المساكن للتلاميذ والشيوخ، كل ذلك رغبة في الأجر المدخر لمن ساعد على حفظ كتاب الله وفهمه.

7 ــ وقف أوقاف على كتاب الله : وقف المغاربة أوقافا كثيرة يخصص ريعها لفائدة القرآن الكريم، تبنى به المدارس، وتصلح به، ويعطى منه للشيخ وللتلميذ.

تلك باختصار بعض ميادين اهتمام المغاربة بالقرآن الكريم، سقناها للتمثيل لا للحصر.

المبحث الثاني :

تلاوة المغاربة للقرآن الكريم

كان حفظة القرآن بالمغرب شغوفين بتلاوة القرآن الكريم فشغلوا به أوقات عملهم وأوقات راحتهم على السواء : يتلونه وهم يزاولون أعمالهم المهنية، يتلونه وهم في طريقهم ماشون، يتلونه وهم ينتظرون الصلاة أو الحافلة أو صديقا يتلونه في كل الحالات حتى في بعض الحالات التي لا ينبغي فيها تلاوته، فهم لفرط شغفهم بالقرآن لا يطيقون الصبر على تلاوته ولو زمنا يسيرا، ومن لا يعرف منهم هذا الشغف يظنهم مجانين حينما يتبعهم في الطريق ويسمع همهمة القراءة ولا يتبينها، ويظنهم يتحدثون مع أنفسهم كما يفعل المجانين والمختلون عقلا، او يراهم يحركون شفاههم حينما يقرأون سرا، كلا انهم ليسوا بمجانين ولا مختلين عقلا، وانما حب القرآن الذي نشأوا عليه وكبروا عليه، ملك عليهم قلوبهم ومشاعرهم، وأصبح أنيسهم الذي يزيل وحشتهم ويسري عنهم أحزانهم وهمومهم، ويملأ نفوسهم بالقناعة في الوقت الذي يملأ فيه الطمع والشره والتكالب على الدنيا نفوس غيرهم.

وبفضل هذه التلاوة المستمرة يتمكن كثير من حفظة القرآن من ختمه فيه مدة وجيزة قد لا تتعدى يوما واحدا، ولا سيما شهر رمضان، شهر القرآن الذي يختم في بعضهم أكثر من ثلاثين مرة، وساعدهم على ذلك حفظهم المتقن وعدم توقف قراءتهم على النظر في المصحف.

وحتى يستمر المغاربة على حفظ القرآن وتلاوته ويرتبطوا به ارتباطا وثيقا في سلوكهم وأخلاقهم أوجبوا قراءة حزبين على الأقل في كل يوم، بحيث يجب على المتهاونين والذين تستغرق أشغالهم جميع أوقاتهم، ولا يتمكنون معها من قراءة القرآن أن يقرأوا حزبين في كل يوم. وهذا حد أدنى لا يجوز إطلاقا التنازل عنه، ولذلك احدثوا قراءة الحزب الراتب في المساجد، وهو عبارة عن قراءة حزب (قراءة جماعية) بعد صلاة المغرب مباشرة، وقراءة حزب آخر بعد صلاة الصبح مباشرة. ويذكر المؤرخون أن أول من أحدث هذا الحزب في المغرب هو يوسف بن عبد المومن بن علي الموحدي فقد أمر بالمحافظة عليه في البلاد المغربية التي تحت طاعته[21].

وقد أصبحت قراءة الحزبين في المسجد أمرا معمولا به في جميع أنحاء المغرب في قراه ومدنه، حتى أصبحت من مهام امام المسجد التلقائية التي لا تحتاج إلى ذكر عند إسناد الامامة اليه، فاذا فرط في قراءة الحزبين في وقتيهما أصبح في نظر الناس مخلا بواجباته الوظيفية، وقد يكون ذلك سببا في إستبدال إمام آخر به يقوم بقراءة الحزب.

وعلى ذكر قراءة الحزبين في المسجد يجدر بنا أن نشير الى ان في المغرب الآن نوعين من الحزب : أحدهما يسمى بالحزب الشهري، والمقصود به ان افتتاح الختمة القرآنية يجب أن يكون في بداية كل شهر عربي، والانتهاء منها يجب أن يكون في نهاية الشهر، وهكذا كلما ابتدأ الشهر ابتدأت معه الختمة القرآنية وكلما انتهى انتهت معه.

وثانيهما : الحزب الذي يسميه بعض الناس بالحزب الراتب، وهو لا يخضع لبداية شهر ولا لنهايته ويتميز عن الأول بقراءة سورة الكهف مساء كل يوم خميس، وسورة «يس» صبيحة كل يوم جمعة[22] بدل الحزبين اللذين جاء دورهما. ومن مزايا هذا الحزب ان اختتام القرآن لا يكون الا في مساء يوم الأحد. وافتتاح الختمة لا يكون الا في صبيحة يوم الاثنين، ومن مزاياه أيضا أن الأحزاب التي تقرأ في كل يوم من أيام الأسبوع معروفة بحيث الأحزاب التي تقرأ في يوم الاثنين تقرأ فيه دائما والتي تقرأ في يوم الثلاثاء، تقرأ فيه دائما، وهكذا في بقية أيام الأسبوع، فيوم الاثنين في الأسبوع الأول يقرأ فيه الحزب الأول والثاني، وفي الأسبوع الثاني يقرأ فيه الحزب الثالث عشر والرابع عشر وفي الأسبوع الثالث

يقرأ فيه الحزبان الخامس والعشرون والسادس والعشرون، وفي الأسبوع الرابع الحزبان السابع والثلاثون والثامن والثلاثون وفي الأسبوع الخامس الحزبان التاسع والأربعون والخمسون.

ويوم الثلاثاء : في الأسبوع الأول يقرأ فيه الحزبان الثالث والرابع وفي الأسبوع الثاني الحزبان الخامس عشر والسادس عشر، وفي الأسبوع الثالث الحزبان السابع والعشرون والثامن والعشرون. وفي الأسبوع الرابع الحزبان التاسع والثلاثون والأربعون وفي الأسبوع الخامس الحزبان الواحد والخمسون والثاني والخمسون.

ويوم الأربعاء في الأسبوع الأول يقرأ فيه الحزبان الخامس والسادس وفي الأسبوع الثاني الحزبان السابع عشر والثامن عشر وفي الأسبوع الثالث الحزبان التاسع والعشرون والثلاثون. وفي الأسبوع الرابع الحزبان الواحد والأربعون والثاني والأربعون وفي الأسبوع الخامس الحزبان الثالث والخمسون والرابع والخمسون.

وصبيحة يوم الخميس في الأسبوع الأول الحزب السابع وفي الأسبوع الثاني الحزب التاسع عشر وفي الأسبوع الثالث الحزب الواحد والثلاثون، وفي الأسبوع الرابع الحزب الثالث والأربعون وفي الأسبوع الخامس الحزب الخامس والخمسون.

وفي مساء يوم الجمعة. الأسبوع الأول يقرأ الحزب الثامن وفي الأسبوع الثاني الحزب العشرون. وفي الأسبوع الثالث الحزب الثاني والثلاثون، وفي الأسبوع الرابع الحزب الرابع والأربعون، وفي الأسبوع الخامس الحزب السادس والخمسون، وفي يوم السبت في الأسبوع الأول يقرأ الحزبان التاسع والعاشر، وفي الأسبوع الثاني الحزبان الواحد والعشرون والثاني والعشرون، وفي الأسبوع الثالث الحزبان الثالث والثلاثون والرابع والثلاثون. وفي الأسبوع الرابع الحزبان : الخامس والأربعون والسادس والأربعون، وفي الأسبوع الخامس : الحزبان، السابع والخمسون والثامن والخمسون.

وفي يوم الأحد في الأسبوع الأول يقرأ الحزبان : الحادي عشر والثاني عشر وفي الأسبوع الثاني الحزبان الثالث والعشرون والرابع والعشرون، وفي

الأسبوع الثالث الحزبان الخامس والثلاثون والسادس والثلاثون وفي الأسبوع الرابع الحزبان السابع والأربعون، والثامن والأربعون. وفي الأسبوع الخامس الحزبان التاسع والخمسون، والستون.

ويمكن تلخيص ما ذكرنا في الجدول الآتي :

	الاسبوع الأول	الأسبوع الثاني	الأسبوع الثالث	الأسبوع الرابع	الأسبوع الخامس
احزاب الاثنين	1 — 2	13 — 14	25 — 26	37 — 38	49 — 50
احزاب الثلاثاء	3 — 4	15 — 16	27 — 28	39 — 40	51 — 52
احزاب الأربعاء	5 — 6	17 — 18	29 — 30	41 — 42	43 — 54
احزاب صباح الخميس	7	19	31	34	55
ما يقرأ مساء الخميس	الكهف	الكهف	الكهف	الكهف	الكهف
ما يقرأ صباح الجمعة	يس	يس	يس	يس	يس
احزاب مساء الجمعة	8	20	32	44	56
احزاب السبت	9 — 10	21 — 22	33 — 34	45 — 46	57 — 58
احزاب الأحد	11 — 12	23 — 24	35 — 36	47 — 48	59 — 60

وتلك قاعدة لا تتغير ولا تتخلف، بحيث لا تجد اطلاقا ما يقرأ في يوم معين يقرأ في يوم آخر، والسبب في هذا الضبط قراءة سورة الكهف مساء يوم الخميس وسورة يس صبيحة يوم الجمعة، وينسب هذا الحزب على هذا الترتيب الى الشيخ التمكروتي ابن ناصر، فيقال الحزب الناصري[23] لأنه هو الذي أمر حملة القرآن بالقراءة على هذا الترتيب كما يقال.

ومن مزايا هذا الحزب أيضا أن من يحافظ على قراءة الحزبين في المسجد يستطيع أن يحافظ على قراءة الحزبين أنى ذهب على نفس الترتيب لأن جميع

المساجد التي تقرأ بهذا الحزب الناصري تتفق في الأحزاب التي تقرؤها، فلو طفنا على المغرب كله لوجدنا جميع المساجد التي تقرأ بهذا الحزب تقرأ في يوم 22 مثلا في الشهر حزبا واحدا.

والناس في المغرب منهم من يقرأ بحزب الشهر ومنهم من يقرأ بالحزب الناصري.

وايا ما كان الحزب الذي يقرأون به، فان المواظبة عليه تجعل حفظهم راسخا متينا لا تنال منه الأيام، ويسود الاعتقاد لدى المغاربة ان كل حافظ لكتاب الله يجب عليه أن يحافظ على قراءة الحزب (حزبين في كل يوم) وأي اخلال به يعتبر تهاونا في حق القرآن عليه، ولهذا يحافظ عليه حملة القرآن محافظة تامة.

بعض مميزات التلاوة المغربية :

تتميز التلاوة المغربية بعدة مميزات منها :

1 ــ عدم الاهتمام بالتجويد العملي :

تفتقر التلاوة المغربية الى مراعاة قواعد التجويد، فالمغاربة لا يهتمون بالتجويد العملي وان كان لهم اهتمام مهم بالتجويد النظري، أي الاهتمام بمعرفة القواعد وحفظها، فجل اهتمامهم منصب على اتقان الحفظ وضبط الرسم العثماني، أما التجويد العملي فلا يهتم به الا اللمطيون أهل صحراء تافيلات ومن تأثر بهم بفضل التلمذة أو غيرها[24].

وقد شغلت تلاوة القرآن بلا تجويد بال كثير من العلماء المغاربة، فاستصدر بعضهم الفتاوي من بعض، ومن ذلك ما ذكره محمد بن سعيد المرغيتي في فهرسته، وقد لخصه عباس بن ابراهيم المراكشي فقال[25] : «قال الشيخ الفقيه الصالح أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد صاحب المقنع في جواب له ما نصه : وأما من كان يقرأ القرآن بلا تجويد على شيخه واستمر على ذلك ولا يشتغل بتجويده ولا نوى ذلك، فقد ورد فيه سؤال من أهل السوس الأقصى من قبل أبي فارس السيد عبد العزيز بن أبي بكر بن يعقوب الرسموكي الجزولي رحمه الله تعالى إلى علماء مراكش، وكان شيخنا أبو مهدي السيد عيسى ابن عبد الرحمن السجتاني حيا، وشيخنا السيد أبو بكر بن يوسف حيا، وشيخنا

سيدي محمد بن يوسف التاملي حيا. وشيخنا ابو العباس المريد حيا، وغيرهم من كبار الطلبة الحذاق فاتفقوا في أجوبتهم على المنع من قراءة القرآن بلا تجويد أصلا الا اذا كان القاريء متعلما مبتدئا في التجويد على الشيوخ لم يقطع التعلم، واما اذا اشتغل بالدنيا وأعرض عن السؤال عما يجهله من ذلك فهو فاسق لا تجوز قراءته ولا امامته ولا شهادته حتى يتوب من قراءة القرآن بلا تجويد. وتوبته بأحد أمرين : اما أن يشتغل بالتجويد على الشيوخ. واما أن يترك قراءته أصلا الا ما فرض منه على المكلف كالفاتحة وسورتين من القرآن بعد تجويد أيضا.

واذا ترك القراءة اصلا على سبيل التوبة فله أجر من يقرؤه بالتجويد وهو من المتقين الذين قال الله فيهم : ﴿ انما يتقبل الله من المتقين ﴾ والجواب كبير جدا واختصرناه لكم وهذا حاصل».

ومن ذلك أيضا ما وقف عليه العلامة محمد المختار السوسي في احدى رحلاته من سؤال بعض أهل السوس لعلماء مراكش في بعض أمور التجويد وغيره، وجواب علماء مراكش على هذا السؤال : قال السوسي[26]. «سؤال لسيدي علي بن محمد الافراني فيما يتعلق بقراءة القرآن على غير ما روي به :

أيا حملة القراء يا كل عالم ... ومن لم يخف في الله لومة لائم
اجيبوا جهارا سؤالي انه ... تكاد تدك منه الاقالم
تلاوة قوم للقرآن الذي به ... يصون دين إله العرش من كل غاشم
بلا علم احكام الأداء وشرطه ... وتحقيق ما قد قيل فيه بلازم
من المد والتغليط والفخم والذي ... يقابلها من كل وصف ملائم
فهل جاز ان يتلوه تال بدونها ... ومن يستمع هل صار في حكم آثم
وهل جاز أخذ من طريق خلا بها ... بلا صحة التجريح عزو لعالم
وهل جاز تخليط الرواية جهرة ... وما حكم من صلى بها غير نادم
وهل حكمُ من ينهى عن اللحن ثم لا ... يؤوب عن الاصرار عمدا بما عمي
وهل يلتجأ للكفر في حال عمده ... لتبديله القرآن تبا لظالم
فقد عمت البلوى بذاك وكونه ... لديهم من الطاعات أفظع ماثم
اجيبوا بنص يرفع اللبس انما الـ ... تباس كتاب الله احدى العظائم
وصلى الله الحق في كل لحظة ... على احمد المبعوث من آل هاشم
وسلم ما الورقاء تشدو بايكة ... عليه مع الآل الكرام الصرائم.

فاجابه الأستاذ سيدي محمد بن يوسف... من القراء وهو التدعني المشهور.

أقـول وحمد اللـه جـل جلالـه ... وشكـرا لـه على عـميم النعـائم
واعظمهـا فضلا تـلاوة ذكـره ... على ما روى الأخير عـن متقـادم
أتـاني مـن اخـوتي سؤال مدقـق ... على انني ـ والله ـ لست بعـالم
ولكنـني اجـيب عنـه وفضلهـم ... سيـمسح لي وذاك شان المكـارم
وقارٍ بلا أداً على نهج مـن مضى ... فـذاك لعمـري مـن عـظيم المآثم
بـقصره ممدودا كـذلك عـكسه ... وتركـه تدقيقـا وتفـخيم فاخـم
يـغيره عمـا أتى عـن رسولنـا ... كذلك تـرك مـا روى كل راسم
اذا كان عمـدا فاحكمـن بكفـره ... على ما حكى عياض شافي السقـائم
كـنقص وزيـد في تـلاوة ذكـره ... ولـيس يجوز دون مـا في المعـالم
وسامعـه ان كان يعلـم أمرهـا ... ولم ينهه عـن ذاك في حكـم آثم
وقـد سمعت عـميرة لفـظ قـارىء ... على غير شرطـه وتـرك الملازم
فقالت : فمـا قـرا وماهـو ساكت ... تـثير لنيـه لفعـل الهذارم
وخلـط روايـة لمن هـو جاهـل ... فلـيس يجوز والجواز لعـالم
ولكن بقصده لـذاك وحكـم مـن ... يصلي بـه على خـلاف الا عـالم
ولـيس يبـاح في المقـارىء كلهـا ... بـغير الـذي رواه ضربـة لازم
لـنص امامنـا عليـه فيالـه ... امامـا واسوة لكـل المكـارم
ولـيس لجاهـل لاحكـام ذكـره ... يـدرر صبيـة وحذقـة خـاتم
ازيـدكم ذا الفـرع منـي تبرعـا ... لما عـمت البلـوى بكـل الاقـالم
وصلى الـه العـرش مـادام فضلـه ... على المصطفى المبعوث من آل هاشم
وآلـه والصحب الكـرام وتابعـي ... هداة الورى طرا واهل التراحـم».

وهكذا يبدو أن أمر التجويد شغل الفقهاء وقد قاموا بما يجب عليهم من بيان حكم القرآن بلا تجويد. الا أن المشتغلين بحفظ القرآن وضبطه لا يعيرون اهتماما لما يقوله الفقهاء. فالذي يهمهم هو الحفظ المتقن والضبط التام. أما التجويد العملي فشيء غير مهتم به.

2 ـ الالتزام بالوقف الذي وضعه محمد بن ابي جمعة الهبطي (المتوفى 930 هـ) فمنذ أن وضع الهبطي وقفه المشهور والتزم به المغاربة كليا في جميع أقاليم المغرب سواء في ذلك الأوقاف الصحيحة والأوقاف التي انتقدها عليه العلماء.

3 ـ تحاشي القراءة في المصحف : فجل الحافظين لكتاب الله لا يفضلون القراءة في المصحف ولايتركون من الى نظرهم من التلاميذ الحافظين يقرأون في المصحف، لسبب واحد وهو أن الاعتماد على المصحف في التلاوة يكون سببا في اختلال الحفظ وعدم الاتقان.

4 ـ الاسراع في القراءة : القراء المغاربة تتميز قراءتهم بالسرعة المفرطة

وخصوصا القراءة الفردية، فلا يستطيع المستمع أن يتبين الحروف والكلمات بدقة عند تلاوة الكثيرين منهم، وحتى في قيام رمضان يسرع بعضهم في القراءة سرعة مفرطة لا يكاد المأمومون يتبينون ما يقرأ، فضلا عن أن يتدبروا.

5 ــ بعض حفظة كتاب الله يرتكبون بعض الأخطاء عند الوقف، قال السجلماسي[27] : متحدثا عن بعض أخطاء القراء المغاربة : «ومما يجري هذا المجرى زيادة كثير من المتساهلين الفا قبل الواو والياء... ولاسيما عند الوقف، ولقد رأيت غير واحد من الفقهاء يقرأ في الصلاة فيقول في «قريش» و «الصيف» و «خوف» قرايش، والصايف وخاوف، ويعتقد انه لم يزد شيئا وانما مدَّ الواو والياء، وهو انما أتى بالمد قبلهما لا فيهما، وذلك من فظيع اللحن، كما نبه عليه الجعبري وغيره».

وقد ذكر السجلماسي أخطاء أخرى يرتكبونها عند الوقف تراجع في كتابه «عرف الند».

6 ــ عدم ضبط المد ضبطا تاما : يظهر مما كتبه علماء المغرب في المد ان القراء المغاربة لم يضبطوا أحكام المد، فالسجلماسي الف كتابا سماه «عرف الند في حكم حذف المد» نعى فيه على القراء والفقهاء المغاربة حذفهم للمد الطبيعي، قال في بداية كتابه : «اعلموا اخواني حياكم الله وبياكم، وللصواب في القول والفعل وارشدني واياكم أن ما تمالأ عليه عوام المغرب الأقصى، وأكثر طلبته وفقهائه وبعض المتساهلين ممن يعد من مقرئيه وقرائه، من اسقاط المد الطبيعي في محله من القرآن خطأ واضح ولحن فاضح، لا يختلف في حرمته اثنان، ومازال المحققون من القراء ينبهون عليه، ويحذرون من التورط في شناعة المصير اليه».

وقد ذكر المؤلف انه نبه الكثير من القراء الى حذفهم للمد الطبيعي في كثير من الكلمات، فقابلوه بالعناد والاصرار على ما ألفوه.

ونجد الجشتيمي الشيخ عبد الرحمن ينبه هو أيضا بدوره الى ضرورة الاعتناء بأحكام المد، وضرورة ضبطها وتطبيقها. قال[28] :

يا من رجوا في كتاب الله ربهم ... دنيا وأخرى بلا ريب ولا جدل
تنبهوا لحروف المد اجمعها ... ولا تميلوا الذي في النحو لم يمل
لا تحقروا ما كتاب الله عظمه ... حق تلاوته تشفوا من العلل

شيء قليل من التغيير كثره خلافه لاتباع أفضل الرسل
فالاقتداء به في مد أحرفه كالاقتداء به في سائر العمل

7 ــ كسر الحرف الممال : شغلت الامالة بال كثير من علما المغرب، ذلك أن جل حفظة القرآن في المغرب يفهمون الامالة على انها كسر خالص للحرف الممال.

ولا يفهمونها على انها امالة الفتحة نحو الكسرة، وامالة الالف نحو الياء، فاذا أراد أحدهم أن يميل «الا ابليس أَبَى» يقول : «الا ابليس أبي» باخلاص الكسر.

وقد تصدى بعض علماء المغرب الى التنبيه على ان اخلاص الكسر في الامالة غير وارد عن أحد من القراء وعليه فالكسر الخالص خطأ ولحن في القرآن. قال الشيخ مأمون الفخار[29] :

ولم أر اخلاص كسر في سند ولا أظن أن قرا به أحد

ويعتبر الفقيه الشيخ الحاج احمد بن عبد الرحمن الجشتيمي من الذين شغلهم أمر الامالة فحذر الناس من اخلاص الكسر ونبههم الى ضرورة اخلاص الفتح اذا لم يعرفوا الامالة الحقيقية. قال في أبيات[30] :

ألا معشر من يقرأ القرآن ومن يقري فديتكم راعوا الذي حق للذكر
من اجلاله في حسن ترتيله مع الـ خضوع له والفكر في آية الغر
واياكم قصر الممدودة وان تمدوا الذي قد كان انزل بالقصر
وان تكسروا الحرف الممال بل الزموا له الفتح اذ علم الامالة في القبر
وبعض رواة الذكر رووا لفتحه ولم يكن فيهم من روى خالص الكسر
ولا تحقروا تغيير حرف تعمدا فقد عده القاضي عياض من الكفر

وقال في أبيات أخرى[31].

كذلك اخلاص لكسر الممال من حروف كتاب الله عد من النكر
فما كان في الأشياخ من كان قارئا باخلاصه فيما يميلون للكسر
واخلاص فتح في الممال هو الذي يحق على من كان بالامالة لا يدري
فاخلاص فتح كان فيه رواية لبعض الشيوخ القدوة النبلا الغر

وممن انكر الكسر الخالص في الامالة الفقيه محمد بن العربي الادوزي. قال العلامة محمد المختار السوسي[32] متحدثا عن الادوزي هذا : «فقد رأى

خلاف الحق من هذه الامالة التي يقرأ بها طلبة القرآن فيظهرون الكسرة، فقام ينهى عن ذلك وينادي في الناس أن ذلك لحن، وينهى عن الصلاة وراء من يعتمد ذلك في الصلاة، فالف في حكم اللحن في القرآن وسمعت أن الذي يجادله في ذلك هو المقريء الشهيد سيد الحاج علي أبو الوجوه...

وقد رأيت لسيدي عبد العزيز الادوزي ردا على المترجم (علي الادوزي) يصحح فيه الصلاة التي ابطلها بتلك الامالة».

وقال العلامة السوسي في مكان آخر[33] متحدثا عن أبي الوجوه : «وهو الذي قام ضده سيدي محمد بن العربي الادوزي بما يقوله في حكم اللحن في القرآن. ومقصوده الامالة التي الف القراء ان يقرأوا بها باظهار الكسرة، فيزعمونها هي الامالة وانها كذلك، ويتعمدون ذلك فقام الاستاذ ابن العربي ضد ذلك حتى نهى عن الصلاةوراء سيدي علي هذا، لانه يميل كذلك في الصلاة، وقد خالفه في ذلك الادوزي».

وقد وقف العلامة محمد المختار السوسي في خزائن ادوز على مؤلف محمد بن العربي في تحريم اخلاص الكسر في الامالة، قال وهو يذكر المؤلفات التي وجدها في خزانة ادوز : «براءة الذمة من قول بعض الأئمة» لمحمد بن العربي لا يزال في مبيضته في زهاء 75 ص بخط المؤلف المدمج، وهو مؤلف ضد الذين يظهرون الكسرة في الامالة عمدا في الصلاة.

وسمعت أنه ألفه ضد الأستاذ سيدي علي بن أبي الوجوه من القراء الكبار الذين كان ينهاهم عن ذلك فلا ينتهون.

وقد رأيت لابي فارس الادوزي نقضا لمضمن هذا الكتاب فاجاز الصلاة وراء الحاج علي المذكور حين كان مشارطا في اساكا او بلاغ، وقد كان ابن العربي يفسد الصلاة وراءه»[34].

المبحث الثالث :

أنواع التلاوة المغربية

في المغرب تلاوات مختلفة بعضها موجود في جميع جهاته وبعضها غير

موجود الا في بعض الجهات فقط ونقصد باختلاف التلاوة ان النغمة التي تسيطر على التلاوة المغربية ليست واحدة في كل الجهات فالمغرب ــ كما يعرف الجميع ــ ينقسم الى جهات متعددة تختلف عاداتها وتقاليدها ولغاتها وبيئاتها وهذا الاختلاف لا بد أن يلمس أثره في كل شيء حتى في تلاوة القرآن.

فالمتتبع لتلاوة القرآن في جميع أنحاء المغرب لابد أنه واجد في كل جهة نغمة خاصة قد لا يجدها في غيرها، على ان هذه الاختلافات في النغمة بسيطة جدا لا يوبه لها، وضروريةً. في نفس الوقت، وقد كان ما يشبهها في عهد رسول الله (ﷺ)، فبعض العرب يرقق بعض الحروف وبعضهم يفخمها، وبعضهم ينطق بالامالة وبعضهم لا ينطق بها، وللتخفيف على الناس ورفع الحرج عنهم انزل القرآن على سبعة أحرف.

وليس قصدي هنا أن أتتبع تلك الاختلافات واحصي النقط المتشابهة والمتخالفة فيما بينها، فذلك صعب جدا، لان تكييف الأصوات وضبط الفروق فيما بينها والتعبير عنها بدقة لازمة أمر في غاية الصعوبة، زيادة على أن ذلك يقتضي وقتا طويلا ومجهودا مضنيا، ووسائل متعددة، وكل ذلك غير متوفر لدينا الآن، وانما قصدي من أنواع التلاوة، التلاوة الفردية والتلاوة الجماعية. ومسائل تتعلق بكل منهما :

أ ــ التلاوة الفردية :

نقصد بالتلاوة الفردية التلاوة التي ينفرد بها شخص واحد لا يشاركه فيها أحد، وهي التلاوة التي كانت في عهد رسول الله (ﷺ) وعهد صحابته، وقد كانت في المغرب ومَا زالت ــ وهي تتم في المغرب على شكلين : أما ان تكون تلاوة مجودة اذا كان القارىء يحسن التجويد واما ان تكون غير مجودة يراعى فيها جانب الحفظ دون جانب التجويد، وهي السائدة في المغرب لعدم اهتمام الكثير من المغاربة بالتجويد التطبيقي كما سبق وتكون التلاوة الفردية في الحالات الآتية :

1 ــ اذا كان القاريء يقرأ في مكان خال من الناس.

2 ــ اذا لم يكن في المكان الذي يقرأ فيه من يحفظ القرآن غيره، واما اذا جهر بالقراءة وبجانبه حفظة آخرون فسينخرطون معه في القراءة باذن أو بغير اذن.

3 ــ اذا كان القاريء مجودا لأن مراعاة قواعد التجويد تجعل أصوات القارئين جماعة لا تنسجم انسجاما تاما، وخاصة اذا تعدد القراء، فهذا يتقدم وهذا يتأخر، ومن النادر أن يقرأ عدة أشخاص مجودين بصوت واحد.

4 ــ اذا كان، التنافس بين قارئين كل منهما يقرأ ربعا أو حزبا بالتناوب حتى يظهر تكافؤهما في الحفظ أو ينهزم أحدهما، أو يصرفهما عن الاسترسال في القراءة صارف.

5 ــ اذا كان القاريء تلميذا يقرأ أمام شيخه قصد اختبار حفظه ومدى اهتمامه بحفظ القرآن وقصد تكرار ما حفظه حتى لا ينساه بسرعة.

تلك هي الحالات التي تكون فيها التلاوة الفردية ومن النادر أن تكون في غير تلك الحالات.

ب ــ التلاوة الجماعية، والمقصود بالتلاوة الجماعية التلاوة التي يشترك فيها أكثر من واحد بصوت واحد. وقد اشتهرت القراءة الجماعية بالمغرب، ولعلها لا توجد في غيره، وقد يتساءل المرء : متى حدثت هذه القراءة بالمغرب؟ ولكن مع الأسف لا نستطيع في الوقت الحاضر أن نجيب عن هذا السؤال، وغاية ما يمكننا قوله هو أن تقول انها موجودة منذ أحقاب كما قال الفقيه عبد الرحمن الفاسي في نظمه (العمل الفاسي)

والذكر مع قراءة القرآن جماعة جرى مدى أحقاب

ومن المجازفة الادعاء بانها حدثت في المغرب منذ أمر يوسف بن عبد الرحمن بن علي الموحدي بقراءة حزب في الصباح وحزب في المساء في المساجد المغربية وعلى أي كان فالتلاوة الجماعية أصبحت أمرا معمولا به في المغرب، رغم انتقادات المنتقدين سواء توغلت في القدم ام لا.

والقراءة الجماعية في المغرب لا تراعي قواعد التجويد وخاصة اذا تجاوز عدد القراء اثنين ويرفع فيها القراء أصواتهم عالية حتى يهتز بها مكان القراءة، وأحيانا يكون رفع الصوت متفاحشا بحيث يرفعون أصواتهم بكل ما يستطيعون من قوة، وتتملك التالين جماعة نشوة خاصة فيتمايلون يمينا وشمالا اذا أعجبتهم نغمة القراءة.

* **حكم التلاوة الجماعية :**

القراءة المعروفة في عهد الرسول (ﷺ) وصحابته وسلف الأمة، هي القراءة الفردية يقرأ الواحد ويستمع الحاضرون الى قراءته، فهذا رسول الله (ﷺ) لا يقرأ مع صحابته بل يأمر بعضهم بالقراءة، ويستمع اليه، أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود (ض) قال : قال لي رسول الله (ﷺ) : اقرأ علي، قلت يا رسول الله : آقرأ عليك وعليك انزل؟ . قال : فاني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال : امسك، فاذا عيناه تذرفان».

فالقراءة الجماعية لم تكن معروفة في الصدر الأول، وانما حدثت فيما بعد، وقد اختلف الناس في حكمها، فمن اعتبر بدعة وضلالة كل مالم يكن معروفا في عهد رسول الله (ﷺ) وعهد صحابته، وقف منها موقف الكاره لها، وايضا فان القارىء مع الجماعة يفاجئه في بعض الاحيان ــ العطاس أو التثاؤب أو السعال، ويكون مضطرا لقطع القراءة وربما في وسط الكلمة، والجماعة تستمر في قراءتها غير منتظرة، فاذا زال المانع يندمج معهم في القراءة، وربما في وسط الكلمة أيضا دون أن يقرأ ما فاته من القرآن أثناء العطاس أو التثاؤب، ومن كان يرى أن القراءة الجماعية انما هي تعاون على الخير والبر والتقوى وقف منها موقف المستحسن لها.

* **مواقف بعض العلماء من القراءة الجماعية :**

1 ــ موقف الامام مالك :

كره الإمام مالك القراءة الجماعة معللا كراهته بانها لم تكن معروفة عند سلفه ولم يبلغه فيها شيء. عن ابن وهب قال : قلت لمالك : أرأيت القوم يجتمعون فيقرأون جميعا سورة واحدة حتى يختموها؟ فأنكر ذلك وعابه، وقال : ليس هكذا تصنع الناس انما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه»[35].

وما ذهب اليه الامام مالك هو المشهور في مذهبه وهو الذي درج عليه الشيخ خليل في مختصره[36].

وقد علل الفقهاء المالكية الكراهة بأنها خلاف العمل وبلزوم تخليط بعضهم على بعض وعدم إصغاء بعضهم لبعض[37].

لكن المتأخرين من المالكية اجازوها بلا كراهة بعدما جرى بها العمل.

قال محمد بن أبي القاسم الفلالي في نظمه (العمل المطلق).

وجـــاز أن يجتمـــع القـــرا على كالحزب يقرؤونـــــه مرتـــــلا

وممن اجازوها أحمد بن يوسف الفاسي، وأبو الفضل العقباني وابن لب والامام المازري، ورأى انها من التعاون على الخير وعمل البر ووسيلة لنشاط الكسلان[38]. وفي المعيار أن جواز الاجتماع على القراءة مذهب الجمهور وتعضده الآثار الصحيحة[39].

2 ــ موقف الامام النووي :

واما النووي فقد استحب قراءة القرآن جماعة مستدلا بقول الرسول (ﷺ) «... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة»... رواه مسلم عن أبي هريرة، وبحديث : «ما من قوم يذكرون الله الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، وبما روي عن أبي داود أن أبا الدرداء (ض) كان يدرس القرآن معه نفر يقرأون جميعا[40].

3 ــ موقف ابن تيمية :

قال في كتابه (الاختيارات العلمية)[41] : وقراءة الادارة حسنة عند أكثر العلماء ومن قراءة الادارة قراءتهم مجتمعين بصوت واحد، وللمالكية وجهان في كراهتها وكرهها مالك، وأما قراءه واحد والباقون يستمعون له، فلا يكره بغير خلاف، وهي مستحبة وهي التي كان الصحابة يفعلونها كابي موسى وغيره».

وقال في «مجموع فتاوي ابن تيمية»[42] «فقراءة القرآن كل واحد على حدته أفضل من قراءة مجتمعين بصوت واحد، فان هذه تسمى «قراءة الادارة» وقد كرهها طوائف من أهل العلم : كمالك وطائفة من أصحاب الامام أحمد وغيرهم. ومن رخص فيها ــ كبعض أصحاب الإمام أحمد ــ لم يقل إنها أفضل من قراءة الانفراد يقرأ كل منهم جميع القرآن. واما هذه فلا يحصل لواحد جميع القرآن. بل هذا يتم ما قرأه هذا، وهذا يتم ما قرأه هذا ومن كان لا يحفظ القرآن

يترك قراءة مالم يحفظه، ويستشف من هذا الذي نقلناه عن ابن تيمية انه لا ينكر القراءة الجماعية وان كان لم يصرح برأيه الشخصي، واكتفى بسرد آراء العلماء لأن عادته فيما لا يعجبه انه ينكره بصريح العبارة ويحمل عليه حملة لا هوادة فيها.

واذا ابحنا لانفسنا بعد استعراض آراء الفقهاء وأدلتهم ـــ ان ندلي بدلونا في هذا الموضوع، فاننا نلاحظ ان ما استدل به المجيزون له حظ من النظر، فالقراءة الجماعية تساعد على تلاوة القرآن وعلى المحافظة على حفظه وضبطه، ويعرف هذا جيدا من كان حافظا للقرآن مداوما على تلاوته مع الجماعة، ثم حدث له ما يصرفه عن القراءة الجماعية فانه يحس بتراجع ملحوظ في حفظه ولو كان يقرأ قراءة فردية.

ولا يضير القراءة الجماعية ان لم تكن في عهد الرسول (ﷺ) ولا عهد صحابته لانها تدخل في باب المصالح المرسلة، وهي التي لم يرد نص على الغائها، ولا على اعتبارها ولكن فيها مصلحة راجحة. فالقراءة الجماعية فيها مصلحة راجحة وحقيقية وليست موهومة ولا تتعارض مع أي نص ولا أي مصلحة، بل ان بعض النصوص تحتمل احتمالا قويا ان تشهد للقراءة الجماعية كتلك التي استدل بها النووي وقد تقدمت وكقوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ فان القراءة الجماعية تعاون على قراءة القرآن وذلك تعاون على البر والتقوى.

ونحن لا نتفق مع الذين يحملون عليها ويحرمونها لمجرد انها لم تكن في عهد الرسول (ﷺ) ولا عهد صحابته، لأن الأشياء المحدثة التي يجب انكارها هي التي لا تتفق مع ماورد في الشرع، والقراءة الجماعية ـــ اعتقد ـــ ليست كذلك، فهي لا تصطدم مع أي نص وقد فصلت في هذه النقطة لأني أرى كثيرا من الشباب الغيورين على دينهم الحريصين على الاهتداء بالهدي النبوي قد أثاروا حول من يقرأون بالقراءة الجماعية زوبعة عنيفة من الاتهامات بل رأينا منهم من لا يتورع عن تشبيههم بالحمر التي تنهق : «وان أنكر الأصوات لصوت الحمير» ظانين ـــ سامحهم الله ـــ ان القراءة الجماعية حرام بنص القرآن والسنة والاجماع ! وان من يقرأ بها يضرب بنص القرآن والسنة والاجماع عرض الحائط ! ما أحقنا يا شبابنا بالاقتداء بعلمائنا الورعين فعلماؤنا الذين لا تعجبهم القراءة الجماعية انما كرهوها، ولم يحرموها، والكراهة ـــ كما هو معروف ـــ من أقسام الجواز، وليست من أقسام الحرام وأيضا فانهم ينسبون الكراهة الى

أنفسهم ولم ينسبوها الى الشرع ورعا، أما أنتم فحرمتم بلا دليل قاطع ونسبتهم التحريم الى الشرع : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ﴾.... والتحليل والتحريم من خصوصيات الله سبحانه وتعالى.

ولا يفهم من كلامنا هذا اننا نقول بجواز القراءة الجماعية مطلقا فالتي نقول بجوازها هي التي التزمت بآداب التلاوة، أما التي يكون فيها الصياح وينعدم فيها الوقار والآداب لا نقول بجوازها ولا أظن أن أحدا من المتقدمين أو المتأخرين يقول بجوازها.

ح ــ قراءة تحزبت :

من أنواع القراءات الموجودة في المغرب، القراءة التي تسمى بـ «تَحْزَّبْتْ»، وهي قراءة جماعية في الغالب، ويندر ان يقرأ بها شخص واحد، وتعتمد على الحفظ المتقن، ومن كان سيء الحفظ لا يستطيع القراءة بها بمفرده أو مع الجماعة، ولا نستطيع أن نحدد بالضبط متى عرفها المغرب، والذي يظهر انها قديمة. لأنها معروفة في كثير من المناطق المغربية، اذ من شأن مثل هذه القراءة الا تنتشر وتكتسح عدة مناطق الا بعد مدة طويلة قد تعد بالقرون. ويمكن تقريب قراءة «تحزبت» الى القاريء الذي لا يعرفها بواسطة بعض أوصافها التي تتصف بها : انها قراءة تعتمد على تقطيع الصوت وجعله يتموج حتى يتولد منه ما يشبه حرف الهاء وخاصة بعد بعض الحروف الممدودة، ويرفع فيها القارئون أصواتهم عالية ويجعلون أوتار أصواتهم مشدودة حتى يكون الصوت في أعلى مقاماته، بحيث تنتفخ أوداجهم ويحمر لونهم، ويتصببون عرقا في كثير من الأحيان، وكثيرا ما يصاب فيها ضعاف الصوت بالبحة بعد قراءة ربع أو ربعين، وتتطلب هذه القراءة من القارىء تركيزا ذهنيا تاما حتى لا تختلط عليه الآيات التي يقرؤها، لأنها كما تقدم تحتاج إلى حفظ متقن وانتباه تام.

واحيانا يتخلل قراءة «تحزبت» صياح بعض القراء، وخاصة عند الوقف على بعض الكلمات، واحيانا يكاد بعض القراء يفقد توازنه من شدة النشوة التي تتلاعب برأسه أثناء القراءة، فتراه يحرك رأسه يمينا وشمالا، وخلفا وأماما. ويحرك يديه وخاصة عند الاقتراب من الوقف.

ويتم عادة قراءة ربع بقراءة «تحزبت» بالشكل التالي :

يبدأ أحد القراء وغالبا ما يكون زعيمهم ــ الربع الذي أريدت قراءته بصوت عال مشددا أوتار صوته لكنه لا يبلغ بها مداها، وينخرط معه في القراءة القراء الآخرون سائرين بسيره في السرعة والبطء ومقامات الصوت، وتستمر القراءة على هذا الشكل حتى الثمن أو بعده بقليل، ثم يرفع زعيمهم صوته أكثر مما سبق ويجعله أكثر تقطيعا وأكثر تموجا وأكثر بطئا، ويشدد أوتار صوته أكثر من ذي قبل، لكنه لا يبلغ بكل ذلك النهاية، وينخرط معه الباقون في القراءة مقتدين به في كل شيء.. ويستمرون في القراءة حتى يوشك الربع على الانتهاء، بحيث لا يبقى منه الا وقاف معدودة، اذ ذاك يرفع الزعيم صوته ويجعله أكثر تقطيعا وتموجا وأكثر بطئا ويجعل أوتار الصوت في اعلى مقاماتها، ويدخل معه الباقون في ذلك مستمرين عليه حتى النهاية.

وقد وصف الحاج الحسن الباعقيلي القارئين بقراءة «تحزبت» وهو من المشجعين عليها والمتحمسين لها بقوله[43] : «سألني كثير من أهل الخير... في مسألة التالين للقرآن المتحزبين جماعات بلسان واحد، وهم طائفة يَقرأون القرآن جماعة على سنة متعارفة بين طلبة المغرب، بحيث يرفعون أصواتهم ويظهرون قوة عند التلاوة وعند النطق وبالوقف عليه حسب عشقهم واتقان حفظهم، وإظهار راية الاسلام، وقوة متانة الدين القويم وأهله».

وقراءة «تحزبت» فيها أنواع كثيرة، فبعضها لا يبعد عن الصواب كثيرا، وبعضها أشد ايغالا في البعد عنه، فالمستمع لقراءة «تحزبت» لا يستطيع أحيانا أن يتبين حرفا مما يقرأون، ولو كان حافظا للقرآن، أما الذي لا يحفظ القرآن فلا يستطيع ــ الا نادرا ــ أن يتبين أي شيء في قراءة تحزبت أيا كانت. وتعتبر قراءة «تحزبت» ابعد أنواع القراءة عن التدبر والتفكر، لانها لا تلامس القلب في شيء، ولا تسعى لهدايته، واذا كان بعض القراء، يجد نشوة أثناء القراءة فما ذلك الا لأن نغمة الصوت تناسب أذواقهم، وتلامس وجدانهم.

ومعلوم أن للنغمة الموزونة تأثيرا على النفوس، ويستوي في ذلك الانسان وغيره. فالقاريء المتدبر لآيات ربه، والمتمعن في معانيها، لا يكون في نشوة وطرب، ولا يحرك رأسه يمينا وشمالا، وخلفا واماما، وانما يبكي أو يتباكى.

ان في قراءة «تحزبت» من التحريف وزيادة في المدود أكثر من اللازم، وغير ذلك، الشيء الكثير، وهي لا تراعي آداب التلاوة الا نادرا. لذلك حار

بها كثير من علماء سوس قديما وحديثا، ولكن جهودهم في محاربتها باءت بالفشل أمام تعنت المتحزبين واصرارهم على القراءة بها، متهمين من يحاربها بسوء الحفظ، وهي كما تقدم لا يستطيع أن يقرأ بها، الا من كان حفظه متقنا.

وقد وجدوا سندهم من بعض الفقهاء المفطورين على التقليد الأعمى لمن تقدمهم من الاجيال، مدعين انها لو لم تكن جائزة لما كانت في الأجيال السابقة، انها حجة من لا حجة له، ولا يلجأ اليها الا من ينقصه الدليل الشرعي المعتبر.

ان بعض هؤلاء الفقهاء يقول للمتحزبين : انهم في طريقهم الى الجنة سيحزبون معتمداً على المنامات والكشف، وبعضهم يفسر قوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ بقراءة تحزبت.

ومما يؤسف له أن بعض العلماء والفقهاء الذين تنتظر منهم الأمة أن يهدوها الطريق المستقيم ويرشدوها الى التلاوة المشروعة يتملقون جماهير القراء المتحزبين، ويتصدرون حلقات «تحزبت» ويفتونهم بانها قراءة أهل الجنة.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام وايمان.

وممن حملوا على تحزبت ونفروا الناس منها الفقيه السيد محمد بن العربي الادوزي فقدنفر منها حياته والف في تحريمها كتابا ذكر ذلك محمد المختار السوسي في بعض مؤلفاته ومن العلماء السوسيين الذين ناصروا تحزبت ودافعوا عنها وأغروا الناس بها السيد الحاج الحسن الباعقيلي الذي ألف في الرد على من ينكرها ويصد الناس عنها كتابه «اتحاف القراء المتحزبين العاشقين تلاوة كتاب الله المجدين» فقد وصف في كتابه هذا المنكرين لها بأوصاف قاسية، وصفهم في ثنايا الكتاب ـــ بالمجرمين واللاهين والغافلين، وبالجاهلين، وبالمفترين، وبالمتحيزين في مقاصد الرب، وبالخائضين بغير دوق ولا صحة مسلك المهتدين، وبالراغبين في تجريد حفظة القرآن من حبه، وبانهم مبغضون لكتاب الله ومريدون انطفاء نور الله ليشتغلوا بمزامير الملاهي، وأوصى المتحزبين بالصبر على أذى المنكرين عليهم، كما صبر الرسل، فعادة الله أن يبتلي أحبابه بمن ينكر عليهم.

ورأى ان قراءة تحزبت جائزة، وذكر انه لم يقل بجوازها الا بعد الاطلاع عليها ومشاهدتها قال في ذلك : فاعلموا ايها القراء بالترتيل والاخلاص والآداب والتجويد على أيدي المجودين الكرام البررة الخاشعين لله المتعاونين على حمل أعباء

صولة القرآن، الحافظين له من الخلل والوهن الذين شاهدناهم واستمعنا منهم في حال تلاوتهم، واستقرأنا أحوالهم من صغرنا الى مدة اثنتين وستين سنة من عمرنا انكم على الحق في الحق وبالحق للحق، فانكم قائمون بوظائف الرسالة، عائمون في بحار حقائق الدين، فصرتم أحباب الله وخاصته فانتم الشجى في حلق ابليس وذويه... فلا ينكر عليكم الا المجرمون[44] اللاهون الغافلون فدعوهم في خوضهم... فقد تتبعنا قراءتكم فوجدناها صالحة صادقة، وقال ايضا : «فيا معشر القراء اجتهدوا في التجويد... فاقرأوا افذاذا وجماعات، محبة في كلام ربكم وتشييد أركان دينكم الحق القويم، فقد سمعنا في أنديتكم ورأينا مقاصدكم، وشاهدنا قوة أمواج حفظ بحركم، فاتلوه بلين وتلحين وتغنوا به، وتمتعوا بكلام ربكم»[45].

ويصف القراء المتحزبين باوصاف تمجد قراءتهم وتجعلها محبوبة لدى الناس. قال : «والطلبة المتحزبون ينشطون، وينشطون السامعين، فترتعد الأفئدة لسماع جلال خطاب الله، وتنساق الى الله بحسن جمال خطابه، وهم شواق الأفئدة الى خطاب ومناجاة ربها، فلو أمكن للانسان الا يفارقهم، فانهم الدالون على الله»[46].

أدلة الباعقيلي :

اعتمد الحاج الحسن الباعقيلي في تجويزه قراءة تحزبت على الأدلة التالية :

1 ــ الاعتماد على عموم بعض الألفاظ القرآنية، فعموم قوله تعالى : ﴿فاذكروا الله﴾ ﴿اقرأوا﴾[47] يشمل جميع أنواع القراءات وجميع الكيفيات وجميع الأوضاع : «فالمتحزبون قائمون بطريقة من طرائق العموم اظهار المتانة أهل الدين»[48].

2 ــ المنامات والكشف والوجدان : يرى الباعقيلي ان حفظة كتاب الله سيدخلون الجنة متحزبين بقراءة ورش، معتمدا في ذلك على الكشف، قال : «فحفاظ كتاب الله يدخلون الجنة متحزبين بتلاوة معلومة برواية ورش، وذلك كشفنا ووجداننا.. ورأيت في بعض الوقائع وانا ابن اربع عشرة سنة النبي (ﷺ) يقرأ مع التلامذة متحزبا معهم، ورأيته يهز رأسه الشريف مع الطلبة عند الوقف، فيوافقهم في كيفية الوقف، وفي كيفية التلاوة، وأنا بين اليقظان والنائم، ثم رأيت

الطلبة مناما يقرأون القرآن جماعة برواية ورش بين يدي الله تعالى في الجنة...»[49].

تلك أدلة الباعقيلي على جواز «تحزبت» ولا يخفى على المتبصر أن ما استدل به من عموم «فاقرأوا».. و «فاذكروا الله» غير ناهض للحجة لأن العموم يرد عليه في كثير من الأحيان تخصيص، فاذا أخذنا بعموم «فاقرأوا» كما يقول الباعقيلي فمعنى ذلك انه لا معنى للالتزام بأدب التلاوة، ولا معنى لتحريم التلاوة في بعض الحالات. والحق أحق أن يتبع انه انما يعمل بالعموم مالم يرد ما يخصصه، كما وضح ذلك الأصوليون، فعموم قوله تعالى «فاقرأوا» مخصص بعدة مخصصات ومن بينها النصوص التي تلزم القاريء بالالتزام بآداب معينة، ومن بينها النصوص التي تفيد تحريم تعريف القرآن وتغيير حروفه، كما لا ينهض حجة ما اعتمد عليه من الكشف والوجدان والمنامات، لأن هذه لا تعتبر من مصادر التشريع الاسلامي، كما نص على ذلك الأصوليون.

وكيف يعتمد عاقل على منامات طفل لم يتجاوز عمره أربع عشرة سنة، هذا اذا كان ما رآه غير مخالف لما ورد في الشرع، فكيف يقبله اذا كان مخالفا لما ورد في الشرع.

على ان الباعقيلي قد احتاط لنفسه احتياطا ذكيا فقال : «وقد اعطيت الشهادة على ما علمت من أحوالهم وأحوال قراءتهم فان خفي علي من قراءتهم شيء فالله غفور رحيم»[50]. أما المنكرون لتحزبت، فانكروها لما فيها من تبديل الحروف ــ وهذا واضح لا ينكره الا معاند ــ وعدمِ اظهار بعضها عند القراءة، وعدمِ الالتزام بأدب التلاوة، زيادة على انها لا تدعو الى التدبر.

المبحث الرابع :
أهداف التلاوة عند المغاربة

كان المغاربة ــ كما سبق ــ مولعين بقراءة القرآن، حبا فيه، ورغبة في أجر التلاوة الا انه الى جانب هذا الهدف، هناك أهداف أخرى كثيرة يقرأ المغاربة القرآن من أجلها، منها ما هو مقبول، ومنها ما هو طفيلي مرفوض.

وغرضنا في هذا الفصل استعراض ما أمكن من تلك الأهداف، وبيان حكمها الشرعي، مبتدئين بالأهداف المقبولة ثم المرفوضة.

1 ــ التلاوة رغبة في الأجر :

الهدف الأول من انزال القرآن هو العمل بما فيه، ليخرج الناس من الظلمات الى النور، ويهديهم سواء السبيل، وينظم سلوكهم ومعاملاتهم، ويربطهم بربهم ليعيشوا حياة مطمئنة آمنة ويفوزوا بالرضوان في الآخرة، والعمل به يتوقف على فهمه وادراك المستطاع من أسراره، فلذلك تنبغي تلاوته والتدبر في آياته للتوصل الى معانيه. الا ان تلاوته في ذاتها تعتبر من الأعمال الصالحات التي يؤجر عليها الانسان، سواء فهم معاني القرآن أو لم يفهمها، لكن الاجر يتفاوت، فالذي يقرأ ويتدبر في الآيات، ويتمعن في معانيها يكون أجره أكثر من أجر الذي يقرأ ولا يفهم معنى ما يقرأ ولكل منهما أجر.

وقد رغب الرسول (ﷺ) وصحابته والمسلمون بصفة عامة في الأجر الذي أعده الله لمن يتلون القرآن فاكثروا من تلاوته، وقسموا القرآن أقساما، فمنهم من يختمه في شهر ومنهم من يختمه في أسبوع ومنهم من يختمه في أقل من ذلك. والمغاربة أنفسهم ــ باعتبارهم مسلمين ــ لم يشذوا عن هذه القاعدة فاقبلوا على تلاوة القرآن طلبا للأجر العظيم الذي سينالونه من ربهم.

2 ــ التلاوة مخافة النسيان :

اذا كان للمغاربة قصب السبق في حفظ القرآن واتقان رسمه وضبط رواياته وقراءاته فان ذلك كلفهم وقتا زاهيا من أعمارهم، انه وقت الطفولة وفي بعض الأحيان وقت المراهقة أيضا، ويعز على المغربي ان يتحمل كل ما يتحمل في سبيل حفظ القرآن، ثم يفلت منه باهماله وتقصيره، فلذلك لا يفتر عن التلاوة سفرا واقامة وفي كل الحالات، فحفظه للقرآن يجب أن يبقى قويا صلبا لا يتطرق اليه الوهن ولا تنال منه الأيام، حتى اذا اضطر الى مساجلة غيره يجد نفسه أقوى ما يكون على المساجلة، يستطيع الخروج منها ظافرا منتصرا، تشير اليه الأصابع بجودة الحفظ ومتانة الضبط، وقد لا أكون بعيدا عن الصواب اذا قلت ان هدف الكثيرين من ملازمة قراءة الحزب في المسجد وغيره هو بقاء الحفظ واستمراره.

حكم التلاوة مخافة النسيان :

ان حفظ القرآن من الأمور المرغب فيها شرعا، واعتبر الفقهاء حفظ ما زاد على الفاتحة وبعض السور التي يقرأ بها في الصلاة امرا مستحبا فقط، أما

حفظ الفاتحة وبعض السور فهو واجب عيني، لأن الصلاة لا تتم الا بذلك، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب، ومع ان حفظ القرآن كله أو جله مستحب فقط فهو من الأمور التي رغب فيها الشارع وندب اليها، وقد كان النبي (ﷺ) يعلم صحابته الكرام القرآن ويحثهم على حفظه، وقد قام المسلمون منذ عهد الرسول (ﷺ) والى يومنا هذا بتعليم وتحفيظ القرآن لمن رغب فيه، لأن في حفظه حفظا للاسلام، اذ هو دستوره وركيزته الأولى، فكان في العالم الاسلامي في كل العصور آلاف القراء يحفظونه عن ظهر قلب حفظا متقنا. وقد كان (ﷺ) يحرص على حفظ القرآن ويتعاهده حتى لا ينساه، وكان جبريل يعارضه القرآن في كل رمضان. وقد أمر (ﷺ) المسلمين ان يتعاهدوا ما حفظوا من القرآن حتى لا يدب اليه النسيان دون أن يعرفوا.

اخرج البخاري عن ابن عمر ان رسول الله (ﷺ) قال : «انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة، ان عاهد عليها أمسكها، وان طلقها ذهبت».

واخرج ايضا عن أبي موسى الأشعري عن النبي (ﷺ) قال : «تعاهدوا القرآن والذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّياً[51] من الابل في عقلها».

واخرج البخاري ايضا عن ابن مسعود قال، قال النبي (ﷺ) : «بئيس ما لأحدكم ان يقول : نسيت آية كيت وكيت بل نُسي، واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم» فالرسول (ﷺ) في هذه الأحاديث وغيرها يحث المسلمين على تعاهد ما حفظوه من القرآن حتى لا تذهب جهودهم سدى، لأن الشقاء في حفظ القرآن ثم تركه بعد ذلك عرضة للنسيان أمر لا يقدم عليه العاقل اطلاقا. قال تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ﴾.

وقد أوضح (ﷺ) في هذه الأحاديث ان القرآن شديد النسيان للتشابه الحاصل بين كثير من آياته فمن لا يتعاهده بالتلاوة المستمرة يختلط عليه كثير من آياته، فيشتبه عليه ماورد في هذه السورة مع ماورد في سورة أخرى.

ولا يخفى أن حفظ القرآن ثم نسيانه لا يستقيم مع التوجه العام للاسلام، فالله سبحانه وتعالى يريد من المسلم أن يكون جادا في عمله يقطع مرحلة بعد

مرحلة. محافظا على مكتسباته، وبذلك يتقدم الى الامام، فالذي انفق زهرة حياته في حفظ القرآن ثم فرط فيه حتى نسيه لا نبالغ اذا قلنا انه انسان عابث يبني ويتحمل الكثير في هذا البناء ثم يهمله ولا يتعاهده حتى ينهار.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) الوعيد الشديد لمن حفظ القرآن ثم نسيه. اخرج الامام أحمد عن سعد بن عبادة عن النبي (ﷺ) قال : «ما من رجل قرأ القرآن فنسيه الا لقي الله يوم القيامة وهو اجذم»[52].

كما روي عنه (ﷺ) انه قال : «عرضت عليَّ سيئات أمتي، فرايت من مساوىء أعمالها الرجل يؤتيه الله آية من القرآن فينام عنها حتى ينساها»[53].

ومما ورد من الوعيد فيمن لم يقم بحق القرآن ما اخرجه البجاري عن سمرة بن جندب عن النبي (ﷺ) في الرؤيا الطويلة التي رأى فيها (ﷺ) أشياء كثيرة :

«انه أتاني الليلة آتيان وانهما قالا لي : انطلق، واني انطلقت معهما، وانا أتينا على رجل مضطجع، واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيتدهده الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فياخذه فلا يرجع اليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيَفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال : قلت لهما : سبحان الله ما هذا؟ قالا لي : انطلق فانطلقنا... قلت لهما : فاني رأيت منذ الليلة عجبا، فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي : اما انا سنخبرك اما الرجل الأول الذي اتيت عليه يثلع رأسه بالحجر، فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة»...

ويؤخذ من هذه الأحاديث ان من حفظ شيئا من القرآن ثم أهمل تعاهده حتى نسيه قد ارتكب اثما عظيما يستحق عليه عذاب الله الشديد.

وقراءة القرآن مخافة النسيان يثاب عليها صاحبها سواء قصد الأجر أم لم يقصده، قال ابن تيمية[54] : «واذا قرأ القرآن لله تعالى فانه يثاب على ذلك بكل حال، ولو قصد بقراءته انه يقرأه لئلا ينساه، فان نسيان القرآن من الذنوب، فاذا قصد بالقرآن أداء الواجب عليه من دوام حفظه للقرآن، واجتناب ما نهي عنه من اهماله حتى ينساه فقد قصد طاعة الله فكيف لا يتاب».

وأخيرا فالمغاربة الذين يقرأون القرآن مخافة النسيان، هدفهم شريف، وقصدهم نبيل وأجرهم عند الله كثير، لأن من قام بفعل يوقع تركه في المنهي عنه، يحمد على فعله ويثاب عليه، ولذلك أمثلة كثيرة في الشريعة الاسلامية لا نطيل بها.

3ــ القراءة (التلاوة) دفعا للأمراض والجنون : ان حفظة القرآن بالمغرب يقصدهم الناس لقراءة القرآن عليهم قصد الاستشفاء به، سواء في ذلك الأمراض العادية أو أمراض الصرع والجنون. الا ان أمراض الصرع والجنون لا ينجح فيها كثير من حملة القرآن، لأن الأمر يحتاج ــ الى جانب القرآن ــ الى تقنيات وخبرات لا تتوفر لدى كل حافظ، فهذه الأمراض لا يشتغل بمعالجتها الا أفراد قليلون معروفون لدى العامة والخاصة، وغالبا ما يكون المشتغلون بها متفرغين لها يتقاضون أجورا باهظة من المرضى.

ولا شك أن القرآن كما كان شفاء لما في الصدور، كان كذلك شفاء لأمراض مادية، فقد كان (ﷺ) يرقي المرض بالقرآن وببعض الأدعية، ويرقي نفسه بالمعوذتين، وأقر صحابته على الرقية وأخذ الأجرة عليها.

أخرج البخاري عن ابن عباس ((ﷺ)) ان نفرا من أصحاب النبي (ﷺ) مروا بماء فيهم لذيغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راق، ان في الماء رجلا لديغا أو سليما، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شَاءٍ فبرأ، فجاء بالشاء الى أصحابه فكرهوا ذلك، وقالوا : أخذت على كتاب الله اجرا، حتى قدموا المدينة، فقالوا يارسول الله : أخذ على كتاب الله أجرا. فقال رسول الله (ﷺ) : ان أحق ما أخذتم عليه اجرا كتاب الله».

وفي رواية أبي سعيد الخدري ان النبي (ﷺ) قال للراقي وهو ابو سعيد نفسه : «وما يدرك انها رقية، ثم قال : قد اصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهما» ــ فالصحابة اشترطوا أجرة فاقرهم الرسول (ﷺ) عليها. وحتى يتأكدوا من ان تلك الأجرة طيب لا شبهة فيها أمرهم ان يجعلوا له نصيبا منها.

اما فيما يخص رقية المجنون بالقرآن وأخذ الأجرة عليها فيدل له ما أخرجه أبو داود في سننه[55] قال : «حدثنا مسدد، ثنا يحيى عن زكريا قال : حدثني عامر عن خارجة ابن الصلت التميمي عن عمه انه اتى رسول الله (ﷺ) فاسلم،

ثم اقبل راجعا من عنده، فمر علي قوم عندهم رجل مجنون موثق بالحديد فقال أهله : «انا حدثنا ان صاحبكم قد جاء بخير. فهل عندك شيء تداويه؟ فرقيته بفاتحة الكتاب، فبرأ فاعطوني مائة شاه. فاتيت رسول الله (ﷺ) فاخبرته فقال : «هل الا هذا» وقال مسدد في موضع آخر : «هل قلت غير هذا؟، قلت : لا، قال : «خذها فلعمري لمن أكل برقيه باطل لقد أكلت برقية حق».

يوخذ مما تقدم ان قراءة القرآن على المرضى وأخذ الأجرة عليه أو بدونها شيء مشروع فلا عيب على حفظة القرآن الكريم في ذلك، سواء في المغرب أو غيره، ومن ينكر عليهم ويتهمهم بالتآكل بالقرآن في قضية الرقية، ويرى أن ذلك حرام لم ينزل القرآن من أجله ولا ينبغي أن يقرأ مقابل أجر محجوج بما تقدم من الأحاديث.

الا انه ينبغي أن نفرق بين الرقية المشروعة وبين الشعوذة التي يمارسها بعض حفظة القرآن لأكل أموال الناس بالباطل، فهذه الأخيرة بطبيعة الحال غير جائزة اطلاقا.

4 ــ التلاوة اظهارا للحفظ والاتقان :

من أهداف التلاوة عند بعض حفظة القرآن، اظهار الحفظ وعدم امكان التعثر في حرف او آية أو وقف، أو غير ذلك، فالتالي يتلو كتاب الله لا رغبة في الأجر ولا مخافة النسيان، وانما ليبرهن أمام الملأ وأمام حفظة القرآن أمثاله ان حفظه قوي وتكون التلاوة لهذا الهدف عندما يقع سوء تفاهم بين حفظة القرآن، ويتهم كل منهم الآخر بسوء الحفظ، أو عندما تجتمع طائفتان غير متجانستين، وأحيانا عند الشعور بالفرح والسرور، لأن أفضل وسيلة عند حفظة القرآن للتعبير عن سرورهم هو الاكثار من تلاوة القرآن، وقد تكون لأسباب أخرى غير ما ذكرنا.

والطريقة التي تتم بها التلاوة ان يقرأ أحد الحفظة ربعا أو ثمنا أو حزبا كاملا ثم يقرأ صاحبه مثل ما قرأ، وتستمر القراءة مساجلة بينها حتى يختلط الأمر على أحدهما، أو ييأس كل منهما من تعثر صاحبه فيعترف كل منهما للآخر بالحفظ والاتقان، ويحسب له حسابه في المستقبل.

واذا تعلق الأمر بالجماعات، فكل جماعة تقرأ ربعا كاملا، ثم تقرأ الجماعة

الأخرى الربع الموالي وهكذا تستمر القراءة بين جماعتين أو أكثر حتى تتعثر احداها فتجر وراءها أذيال الهزيمة والعار، أو يثبت تكافؤ الجماعات في الحفظ. أو ينقضي الوقت المحدد للقراءة.

والتلاوة للمباهاة بالحفظ كثيرا ما تكون في المواسم السنوية التي اعتاد حفظة القرآن ان يجتمعوا فيها، ويتلوا فيها كتاب ربهم، ولا نريد أن نتتبع ما يجري في كل المواسم، وانما نكتفي ـــ كنموذج ـــ بما يجري في موسم «تعلط» في سوس وهو موسم سنوي مشهور يؤمه حفظة القرآن للتباري والمباهاة بحفظ القرآن واتقانه.

ففي هذا الموسم يجتمع طلبة كل مدرسة ـــ تقريبا ـــ من المدارس العتيقة بسوس، وكل مدرسة لها مكان خاص بها في المسجد لا تجرؤ أي جماعة أخرى أن تجلس لها في ذلك المكان، وهذا عرف معمول به عندهم، فالمسجد مقسم تقسيما عرفيا الى مجالس كثيرة، فامام المحراب مثلا خصص لطائفة معينة. والزاوية التي على يمين المحراب مخصصة لطائفة معينة، وهكذا قسم المسجد على طلبة المدارس، فاذا جاءت جماعة جديدة لم يكن لها مكان من ذي قبل، فانها تحاول أن تجد مكانا بين طائفتين، فتأخذ جزءا من هذه وتستمر على ذلك حتى يعترف لها بذلك المكان مع مرور الاعوام.

وبمجرد الفراغ من صلاة المغرب وقراءة الحزب مساء يوم الخميس تنطلق المسيرة القرآنية ابتداء من الربع الذي توقفت عنده القراءة في العام الماضي وتستمر إلى اذان الفجر، فكل طائفة تقرأ ربعا بالترتيب، وبمجرد أن تبدأ طائفة القراءة يجتمع عليها الحفظة الآخرون ويحيطون بها من كل جانب، وينتظرون منها بفارغ الصبر ان يصدر منها ما يستشف منه ان حفظها للقرآن ناقص، واحيانا يحاولون اضلالها بالقراءة معها والانحراف بها عمدا.

فاذا حدث ان زلت طائفة، أو ارتبكت، أو وقفت في غير محل الوقف، أو مدت في غير موضع المد أو العكس، فان الطائفة الموالية تبتدىء ذلك الربع من جديد، ويكون ذلك سبة وعارا في جبين الطائفة التي تعثرت، وتعير بذلك اعواما كثيرة.

ويذكر لنا بعض المسنين من حفظة القرآن انه فيما مضى اذا تعثرت طائفة

ينهال عليها بعض افراد الطوائف الأخرى بالعصي والهراوات وقد اعدوها لذلك، كما يذكرون ان هذا التباهي بحفظ القرآن حمل الكثيرين على اتقان القراءات السبع فكم من واحد تعثر أمام الملأ في هذا الموسم، فحملته سورة الغضب وشماتة الاعداء على الحلف بالله الا يعود الى بلده والى ذلك الموسم حتى يتقن القراءات السبع والعشر.

هذا نموذج من المواسم التي تكون فيها التلاوة للمباهاة بالحفظ. ولا شك أن التلاوة للافتخار والمباهاة على الآخرين لا يقرها الشرع، لانها نوع من الكبر، ولا تهدي القلب الى الله، ولا تجعله يفكر ويتدبر معاني القرآن، وانما غايتها التعاظم على الآخرين، ولا يصح ان نعده من التحدث بنعمة الله، لأن قصدهم لا يتجه الى هذا الغرض، وانما الأعمال بالنيات، واذا كان لا بد من التساهل في أمرها فباعتبار مساهمتها في الاعتناء بحفظ القرآن.

وقد حاول جماعة من علماء سوس منذ وقت مبكر ان يثنوا حفظة القرآن عن المشاركة في قراءة موسم «تعلط» لكن جهودهم ذهبت سدى أمام تعنتهم فهم لا يقبلون ان يمس صنيعهم بسوء.

ونشير هنا الى ان اجتماع حملة القرآن في موسم «تعلط» وتلاوتهم للقرآن فيه لا يقصد من ورائه كسب المال بالقراءة، والدليل على ذلك ان التلاوة لا تبتديء الا بعد صلاة المغرب في يوم الخميس، والموسم في هذا الوقت قد انقضى ولم يبق فيه الا ناس قليلون حبسهم متاعهم او رغبتهم في حضور دعاء اختتام الموسم صبيحة الجمعة. وانما مقصودهم اظهار الحفظ وتجني المدارس المشاركة شهرة طنانة في الآفاق.

5 ــ التلاوة من أجل هدف مادي :

ان المغاربة منذ ان شرح الله صدورهم للاسلام يحبون القرآن ويعظمونه ويحترمونه ايما احترام وحبهم للقرآن جعلهم يحبون حفظته وقارئيه يحبونهم ويكرمونهم تكريما متزايدا يكفي ان يعلم الناس ان الشخص حافظ لكتاب الله حتى يحترموه ويقدموا له ما في استطاعتهم من خدمات بلا مقابل، تلك هي نظرة المغاربة الى حافظ كتاب الله.

وقد استغل بعض حفظة القرآن هذا الحب العظيم لكتاب الله ولحفظته،

فيقرأون القرآن لتنهال عليهم الصدقات، لأنهم يعرفون ان المغاربة تهفو نفوسهم الى الخير اذا سمعوا آيات ربهم، ومن الخير اجلال القرآن واجلال حامليه واكرامهم، والتعبير المادي عن حبهم للقرآن اذا تلي على مسمع منهم هو تقديم المال لمن تلاه، ويعتقد كثير من حفظة القرآن ان من حقوقهم على الناس ان يعظموهم وان يكفوهم مؤنة العيش، وان يمطروهم بالدراهم، كلما قرأوا ما تيسر من القرآن أمامهم ولذلك لا يشعرون بأدنى حرج عندما تقدم لهم التبرعات، وتكون يدهم هي السفلى، فهم في نظرهم انما يأخذون حقا من حقوقهم التي وجبت لهم تلقائيا بمجرد حفظهم لكتاب الله، ولا يعتبرون ان ذلك ضرب من التسول الذي يأتي صاحبه يوم القيامة ولا مزعة لحم في وجهه.

والتلاوة من أجل هدف مادي تتجلى في ميادين متعددة نذكر بعضها فيما يلي :

أ ــ التلاوة عند المقابر : اعتاد الناس في المغرب ان يجدوا في المقابر جماعة أو جماعات من حفظة القرآن ينتظرون جنازة او زائرا ليقرأوا القرآن مقابل أجر يترك تقديره للزائر، أو لقريب من أقرباء الميت، ثم يهبون ثوابه للميت، وقد أحسن حفظة القرآن استغلال هذه المواقف التي تنكسر فيها القلوب وتهفو فيها النفوس الى فعل الخير، فالحاضرون في تلك اللحظات وهم ينظرون الى الآخرة، ويعلمون ان الميت لن يبقى معه في قبره الا عمله الصالح. وما قدمت يداه من الخير، ويعلمون ان آباءهم وأجدادهم ينتفعون بصدقات أقاربهم عليهم، تسخو نفوسهم بالمال، ويريدون إهداء ثواب تلاوة القرآن الى أرواح آبائهم وأجدادهم.

ان تلك الجماعات يستغلون رقة القلوبِ فيقرأون القرآن ويدعون بدعوات بليغة تستخرج المال من أبخل البخلاء.

أما ما تقرأه تلك الجماعات فسورة يس[56]، وأحيانا يزيدون سورة الملك، وسورة الاخلاص ثلاث مرات والمعوذتين، ويعتقد العامة ان التالين للقرآن عند المقابر، يقرأون كثيرا من القرآن اذا كان الميت أو أحد ورثته غنيا، ويقرأون قليلا اذا كان العكس، والملاحظ الآن ان المقبرة تمتليء بحفظة القرآن، من يعتقدون أن ورثته سيجزلون لهم العطاء، ويقلون وأحيانا ينعدمون إذا مات مسكين او متوسط الحال.

ولا يفهم من كلامنا ان كل من يقرأ على المقابر انما يقرأ من أجل هدف مادي. ان بعض الناس يقرأون عند زيارتهم للمقابر ما تيسر من القرآن ــ وغالبا ما يقرأون سورة يس ــ ويهدون ثوابه لأقاربهم ولجميع المسلمين المدفونين في تلك المقابر غير هادفين الى أخذ أجرة على ما قرأوه. فعادة الغالبية العظمى من زوار المقابر العوام قراءة سورة الاخلاص ثلاث مرات واهداء ثوابها الى الموتى.

حكم القراءة عند المقابر :

لمعرفة حكم القراءة عند المقابر لا بد من التطرق الى نقطتين : الأولى وصول ثواب القراءة الى الميت، والثانية حكم القراءة عند القبور.

1 ــ وصول ثواب القراءة الى الميت : في المذهب المالكي ثلاثة أقوال[57] الأول : وهو المشهور في المذهب[58]، واليه ذهب أكثر أصحاب مالك[59] ان القراءة لا يصل ثوابها الى الميت اطلاقا.

وهذا القول مبني على ان الأعمال البدنية لا ينتفع بها، وهو مذهب المالكية، فلذلك لا يسقط الفرض عن شخص حيا أو ميتا، الحج عنه أو الصوم عنه وانما له في حالة الحج عنه أو الصوم عنه اجر الدعاء وأجر الصدقة، اما أجر الحج وثوابه فليس له. وقد خالفوا في هذا بعض الأحاديث الصحيحة، ولا يهمنا هنا بحث هذه النقطة.

الثاني : ان ثواب القراءة يصل الى الميت وهو ما ذهب اليه طائفة من أصحاب مالك[60].

وممن ذهبوا اليه ابن رشد في نوازله، واعتمد عليه كثير من فقهاء الأندلس والمغرب، وبه جرى العمل شرقا وغربا ووقف الناس على ذلك أوقافا[61].

الثالث : ان ثواب القراءة يصل ان كانت عند القبر والا فلا[62].

وقد رد ابن تيمية على هذا القول فقال : «ولم يقل أحد من العلماء : ان القراءة عند القبر أفضل، ومن قال انه عند القبر ينتفع الميت بسماعها دون ما اذا بعد القارىء، فقوله هذا بدعة باطلة، مخالفة لاجماع العلماء. والميت بعد موته لا ينتفع بأعمال يعملها هو بعد الموت لا من استماع، ولا قراءة، ولا غير

ذلك باتفاق المسلمين، وانما ينتفع بآثار ما عمله في حياته كما قال النبي (ﷺ) : «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث»...

وينتفع الميت بما يهدى اليه من ثواب العبادات المالية كالصدقة والهبة باتفاق الفقهاء وكذلك العبادات البدنية في أصح قولهم، والزام المسلمين الا يعملوا ويتصدقوا الا في بقعة معينة، مثل كنائس النصارى، باطل»[63].

وذهب الشافعي الى أن قراءة القرآن وإهداءها إلى الميت لا يصل اليه ثوابها، مستدلا بقوله تعالى : ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى ﴾[64].

وهذا هو المشهور من مذهبه[65] واليه ذهب أكثر أصحابه[66].

وذهبت طائفة من أصحابه إلى أن الثواب يصل اليه[67].

أما أحمد بن حنبل وأبو حنيفة فانهما يقولان بوصول ثواب القراءة الى الميت[68] وملخص ما للمذاهب الأربعة في هذه القضية أن مالكا والشافعي وأكثر أصحابهما يقولون بعدم وصول ثواب القراءة الى الميت.

وان أحمد وأبا حنيفة وطائفة من أصحاب مالك والشافعي يقولون أن ثواب القراءة يصل الى الميت.

ويرجح ابن القيم في كتابه «الروح» وصول ثواب القراءة الى الميت اذا لم تكن القراءة بأجر قال[69] : «واما قراءة القرآن واهداؤها الميت تطوعا بغير أجرة فهذا يصل اليه، كما يصل ثواب الصوم والحج».

وقد رد على من أنكر وصولها بانه لا فرق بين الصوم والحج وبين قراءة القرآن[70] وابن تيمية بدوره يصحح وصول القراءة الى الميت اذا كانت بلا أجر، واما اذا كانت بأجر فلا[71].

هذا ما للفقهاء ملخصا في هذا الموضوع، ويظهر والله أعلم انه لا فرق ـــ كما يقول ابن القيم ـــ بين وصول ثواب الحج والعبادات الأخرى وبين وصول ثواب القراءة، فمن ادعى الفرق بينهما فقد أبعد النجعة..

واما ما استدل به بعضهم من قول الرسول (ﷺ) : «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث...» فاستدلال في غير محله، لأن الحديث انما يعني

ان الانسان بمجرد موته ينقطع عمله، الا ما كان امتدادا لعمله. ولا يفيد ان الانسان لا ينتفع بعمل غيره. فانه ينتفع بأشياء كثيرة من غير عمله. وأولها الصلاة عليه ثم الصدقة كما ان الاستدلال بقوله تعالى : ﴿ وان ليس للانسان الا ما سعى ﴾ استدلال في غير محله لما يلي :

اذا كانت الاية تتعلق بمن قلبنا وكنا من الذين يقولون ان شرع من قبلنا شرع لنا، فان من شروط العمل بشرع من قبلنا الا يرد في شرعنا ما ينسخه، وقد ورد في شرعنا ما يدل على ان للانسان ماليس من سعيه، الصلاة مثلا والصدقة والصوم عن الميت والحج عنه، وهذا بنصوص صريحة.

واذا كانت الآية تتعلق بنا فانها من العموم المخصص بما ذكرنا من الصلاة على الميت والصدقة عليه والصوم عنه والحج عنه، وعلى أي فالاستدلال بالآية لا ينتج الدعوى.

2 ــ حكم القراءة عند القبور :

روي أن ابن عمر أوصى ان يقرأ عند قبره بفواتح سورة البقرة وبخواتمها[72] كما روي عن بعض الأنصار انه اوصى عند قبره بقراءة سورة البقرة[73] «وكانت الأنصار اذا مات اليهم الميت اختلفوا الى قبره يقرأون عنده القرآن[74] وقد ذكر جماعة من السلف انهم أوصوا ان يقرأ عند قبورهم وقت الدفن[75] اذن قراءة القرآن عند القبر وقت الدفن روي عن بعض الصحابة، والعجب كل العجب من الذين يدعون ان قراءة القرآن عند القبور لم يرو عن أي من الصحابة.

رأي الأئمة الأربعة في القراءة عند القبور

كره مالك القراءة عند القبور[76]. وهو المشهور من مذهبه الذي درج عليه خليل في مختصره لأنه ليس من عمل السلف[77].

وكرهها أيضا أبو حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه وطوائف من السلف ورخص فيها طائفة أخرى من أصحاب أبي حنيفة والامام أحمد وغيرهم وهو إحدى الروايتين عن أحمد[78].

وانما رخص فيها الامام أحمد في آخر الرواية عنه لأنه بلغه ان ابن عمر

ـــ كما تقدم ـــ اوصى ان يقرأ عند قبره بفواتح سورة البقرة وبخواتمها[79].

وقال الحسن بن الصباح الزعفراني، سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال : «لا بأس بها»[80].

ب ـــ التلاوة في المواسم، والأماكن التي يغشاها الناس.

كثيرا ما نجد حول ضريح صاحب الموسم والطرق المؤدية إليه جماعات من حفظة القرآن يقرأون القرآن قصد ان تمد اليهم يد المساعدة. وأحيانا يحيطون ببعض الناس ويجرونه الى موضعهم، وينهالون عليه بالدعوات، ويستعطفونه بالقرآن حتى يعطيهم بعض المال.

أما الذين يجلسون في الطرقات ويقرأون القرآن منتظرين من المارة بعض المساعدة فهؤلاء موجودون في جميع الأسواق وفي غيرها.

ح ـــ التلاوة أمام المنازل :

في بعض الأحيان تتفق جماعة من حملة القرآن على التجوال في البوادي وقراءة القرآن قصد جمع المال، في بعض المرات يقصدون المسجد ويواصلون القراءة حتى ينتبه اليهم الناس فيمدوهم بالمال والطعام، وفي بعض المرات يقرأون في الأزقة ويستفتحون على المنازل ولا شك أن التسول بالقرآن بهذه الطريقة فيه إذلال للقرآن وإذلال لحامليه.

فلذلك لا ينبغي إعطاؤهم المال، لأن في إعطائهم إياه تشجيعا لهم على هذا الفعل الذميم قال الدسوقي : «واعلم ان قراءة القرآن على الأبواب وفي الطرق قصد الطلب الدنيا حرام، ولا يجوز الاعطاء لفاعل ذلك لما فيه من الاعانة على ذلك، كذا قرر شيخنا العدوي»[81].

وقال المراكشي متحدث عن بدع حملة القرآن : «ومن بدعهم قراءة القرآن يسألون بها عرض الدنيا فتراهم في المساجد وفي الطرقات كثيرا وعلى أبواب البيوت يجلسون ويقرأون شيئا، فبدلا ان يسأل الناس بقوله : اعطوني، يسأل بالقرآن، وهذه بدعة شوهاء، أضاعت منزلة القارىء، وكانت إهانة لكتاب الله يخشى على فاعلها الخطر.

وفي الحديث الشريف كما في الترمذي عن عمران بن حصين (ض) انه مر على قارىء يقرأ، ثم سأل فاسترجع ثم قال : «سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من قرأ القرآن فليسأل الله به، فانه سيجيء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس»[82].

خاتمة

دخل القرآن الكريم الى المغرب مع دخول الاسلام اليه، لأنه لا اسلام بدون قرآن، وقد حرص الفاتحون المسلمون على تعليمه للمغاربة الذين شرح الله صدورهم للاسلام فوجدوا فيهم استعدادا تاما يتمثل في الاهتمام بالقرآن اهتماما كبيرا.

وقد تمسك المغاربة منذ وقت مبكر ـــ لسبب أو لآخر ـــ بقراءة الامام نافع برواية ورنش ومازالت قراءتهم المعتمدة، فاتقنوها ايما اتقان، وأولوا ما يتعلق بها من دراسات ومباحث كثيرا من اهتمامهم، ولا يعني هذا انهم اهملوا القراءات الأخرى ولم يعيروها أدنى اهتمام، بل اعتنوا بها كذلك عناية فائقة لكن دون اهتمامهم بقراءة نافع.

ان المغاربة منذ تمكن الاسلام من نفوسهم اهتموا بالقرآن اهتماما شاملا، فحفظوه حفظا متقنا، وضبطوا رسمه، واتقنوا رواياته وقراءاته، واعتنوا بتفسيره وبعلومه وشغلوا أوقاتهم بتلاوته، واكثروا من كتابة مصاحفه، وبنوا المدارس لتحفيظه وفهمه، ووقفوا أوقافا كثيرة يصرف ريعها لخدمته.

ان اهتمامهم بالقرآن لا يقتصر على ميدان دون ميدان بل هو اهتمام شامل الا ان أبرز ميدان ظهر فيه اهتمامهم الفائق وتفوقهم فيه على المشارقة هو ميدان الحفظ وضبط الرسم واستيعاب الروايات والقراءات.

وقد اثروا المكتبة القرآنية بدراساتهم الجليلة في هذا الميدان.

ان للمغاربة ولوعا بتلاوة القرآن فلا يفترون، وحتى يرتبطوا به ارتباطا وثيقا سنوا قراءة حزب في المساء وحزب في الصباح في كل مسجد. وأي اخلال بهذين الحزبين يعتبر في نظر الناس اخلالا بحق القرآن.

الا ان التلاوة المغربية تعاني من بعض السلبيات فالغالبية العظمى من حفظة

القرآن لا يحسنون تطبيق قواعد التجويد عند التلاوة. وقد استقطبت هذه المسألة اهتمام الفقهاء فافتوا بفتاو عدة تدين التلاوة بلا تجويد.

لكن حفظة القرآن لا يبالون كثيرا بمثل هذه الفتاوي، كما ان كثيرا منهم لا يحسنون الامالة، لا يضبطون أحكام المد، ويرتكبون أخطاء عند الوقف على بعض الكلمات.

وقد تأثرت التلاوة المغربية بتنوع مناطق المغرب، فلكل منطقة نغمة خاصة.
الا ان اختلاف النغمات لا يحول دون قراءة جماعية. وان انتمى التالون الى مناطق مختلفة.

ان التلاوة المغربية فيها أنواع مختلفة، ففيها التلاوة الفردية وفيها التلاوة الجماعية، وفيها القراءة المسماة بـ : «تحزبت» وقد اختلفت وجهات نظر العلماء في القراءة الجماعية فمنهم من كرهها، ومنهم من استحبها. والذي يترجح لدينا انها جائزة لأنها وان لم تكن في الصدر الأول ففيها مصلحة راجحة الشيء الذي يدخلها في إطار المصلحة المرسلة. واما قراءة «تحزبت» فالذين دافعوا عنها لم يستندوا في دفاعهم الى أدلة مقنعة في نظرنا.

اذا كان المغاربة مولعين بتلاوة القرآن، فان أهدافهم في التلاوة تختلف من شخص لآخر فمنهم من يقرأ القرآن رغبة في اجر التلاوة، ومنهم من يقرؤه مخافة النسيان. ولا يخفي ان الذي يقرأ من أجل هذا الهدف يؤجر على تلاوته، ومنهم من يقرؤه على المرضى قصد الاستشفاء به أي يرقي به المرضى، والرقية بالقرآن وبالأدعية المأثورة جائزة بل مرغوب فيها كما دلت على ذلك أحاديث صحيحة.

ومنهم من يقرؤه لشيء الا ليظهر اتقان حفظه امام الناس، ومنهم من يقرؤه من أجل هدف مادي صرف، ويمكن التمثيل لهذا النوع ببعض حفظة القرآن الذين اعتادوا القراءة على المقابر مقابل أجر يدفعه اليهم زوار المقابر الراغبون في إهداء ثواب تلاوة القرآن الى الأموات من أقاربهم.

وكذلك الذين يتلون القرآن في المواسم قصد استجداء الناس.

ان للتلاوة المغربية بعض المميزات بعضها سلبي وبعضها ايجابي ـــ وان

كنا لم نعرج فيما تقدم على الايجابيات ـــ وليست التلاوة المغربية منفردة بذلك، فلو تتبعنا التلاوة في الأقطار المشرقية لوجدنا فيها ايجابيات، وسلبيات ولو حدث فيها بعض الاختلافات من قطر الى قطر.

كما اننا سنلمس اختلافا في الأهداف، وان كان جل أهداف التلاوة مما تشترك فيه الأقطار الاسلامية. سواء في ذلك الأهداف الايجابية أو السلبية.

لذلك لا يفهم القارىء مما كتبنا ان التلاوة المغربية، هي وحدها، التي فيها سلبيات وان أهداف التلاوة المغربية هي وحدها التي فيها، أهداف مادية صرفة، فالأقطار الاسلامية تشترك في كثير من هذه الأهداف، ولو كان بإمكاننا في الظرف الراهن ان نقوم بدراسة مقارنة في هذا الباب لظهر جليا تشابه كثير في كل ذلك.

(1) عبد الله كنون، النبوغ المغربي 1 / 42. انظر الاستقصا 1 / 96.
(2) انظر الاستقصا 2 / 129 ــ 130.
(3) عياض، ترتيب المدارك 4 / 313.
(4) الناصري، الاستقصا 1 / 139.
(5) عياض، المصدر السابق 3 / 114.
(6) عياض، المصدر السابق 4 / 436.
(7) الورقة 32 مخطوط.
(8) اتحاف القراء المتحزبين، العاشقين تلاوة كتاب الله المجدين ص 48. مخطط.
(9) ص 3.
(10) الناصري، الاستقصا 2 / 129 ــ 130. والافراني، نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي ص 99 ــ 100.
(11) الناصري. م. س. 2 / 126 ــ 129. والمراكشي، المعجب 1 / 252 ــ 253.
(12) القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني 1 / 233.
(13) محمد المنوني. دعوة الحق المغربية، العدد 4 السنة 22. 1401 هـ ــ 1981 م. ص 10. 11.
(14) محمد المنوني م. س. ص : 14.
(15) المصدر السابق ص : 13.
(16) المصدر السابق ص : 14.
(17) بعث باحدهما الى مكة سنة 738 هـ، وبعث بالآخر الى المدينة سنة 746 هـ.
(18) انظر ما يتعلق بزخرفة هذين المصحفين والبعث بهما الى المشرق وما بين ابي الحسن المريني وملك مصر في شأن الوقف عليهما، في كتاب الاستقصا للناصري : 3 / 127 فما بعد.
(19) انظر الاستقصا. 3 / 131. و ص 3 / 151.
(20) الاستقصا 2 / 130.
(21) انظر العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، للمنوني ص 46.
(22) ومن المغاربة من يقرأ صبيحة يوم الجمعة «يس» وسورة «الدخان» وسورة «الملك» وسورة «الواقعة» ومنهم من يقتصر على سورة «يس» وسورة «الدخان».
(23) انظر المعسول 1 / 56.
(24) انظر تقييد وقف القرآن الكريم للهبطي دراسة وتحقيق، لوجاج الحسن ص 6. 7 ــ وص 131.
(25) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام 2 / 317 ــ 318.
(26) خلال جزولة 2/ 123 ــ 124. وفي الأبيات كلمات تحتاج الى اصلاح، وقد ابقينا عليها كما وردت لدى محمد المختار السوسي على أمل أن نتمكن في المستقبل ان شاء الله من اصلاحها ومقارنتها بما ورد في فهرست محمد بن سعيد المرغيتي اذ هو ايضا أورد تلك الأبيات.
(27) عرْف الند في حكم حذف المد ص 9 مخطوط.
(28) الأبيات مأخوذة من المعسول 6 / 74. وانظر ايضا الأبيات التي ستأتي لابنه الحاج أحمد في موضوع الامالة، فهو أيضا ينبه القراء الى ضرورة ضبط ما يتعلق بالمد.
(29) تقييد وقف القرآن الكريم لوجاج، تعليق رقم 1 في هامش ص 84.
(30) المعسول 6 / 146.
(31) المعسول 6 / 146.

(32) المعسول 6 / 159.
(33) المعسول 5 / 295 ــ 296.
(34) خلال جزولة 2 / 53.
(35) النووي، التبيان في ادب حملة القرآن ص 57.
(36) انظر، فصل سجد بشرط الصلاة.
(37) انظر حاشية الدسوقي على شرح الدرديري على مختصر خليل 1 / 308 وشرح الزرقاني على مختصر خليل 1 / 344.
(38) انظر عبد الصمد كنون، جني زهر الآس في شرح نظم عمل فاس عند شرح قول الناظم : والذكر مع قراءة القرآن.....
(39) الغلالي فتح الجليل العمد في شرح التكميل والمعتمد عند شرح قوله : وجاز ان يجتمع القرا على.....
(40) انظر التبيان في ادب حملة القرآن للنووي 56 ــ 58، وشرح النووي على صحيح مسلم 10 / 131 ورياض الصالحين للنووي ص 395.
(41) ص 38.
(42) 31 / 50.
(43) اتحاف القراء المتحزبين 1 / 2.
(44) اتحاف القراء المتحزبين ص 3.
(45) اتحاف القراء المتحزبين ص 24.
(46) اتحاف القراء المتحزبين ص 28.
(47) انظر اتحاف القراء المتحزبين ص 44.
(48) انظر اتحاف القراء المتحزبين ص 23.
(49) انظر اتحاف القراء المتحزبين ص 48.
(50) انظر اتحاف القراء المتحزبين ص 48.
(51) اشد تفصيا : اشد تفلتا وهروبا.
(52) اورد ابن كثير في تفسيره ج 3 / 163 هذا الحديث ونسبه الى مسند أحمد.
(53) اورد ابن تيمية هذا الحديث دون ان ينسبه الى مخرجه. مجموع فتاوي ابن تيمية 13 / 423.
(54) مجموع فتاوي ابن تيمية 13 / 423.
(55) ج 4 / 13. قال ابن تيمية في منتقى الأخبار، اخرجه احمد وابو داود وقال الشوكاني في نيل الاوطار ج 6 / 31 : «حديث خارجة اخرجه ايضا النسائي، وسكت عنه ابو داود والمنذرى ورجال اسناده رجال الصحيح الا خارجة المذكور، وقد وثقه ابن حبان، واخرجه ايضا ابن حبان والحاكم وصححاه.
(56) وسبب قراءتهم «يس» عند القبور ماورد عن النبي صّ انه قال : «اقرأوا يس عند موتاكم» وهذا الحديث يحتمل معنيين : الأمر بقراءة «يس» عند المحتضر والأمر بقراءتها عند الموتى في المقابر، وقد رجح ابن القيم المعنى الأول لوجوه خمسة انظرها في كتاب الروح ص : 11.
(57) انظر حاشية الدسوقي على شرح الدردير على مختصر خليل 1 / 423.
(58) مجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 315.
(59) مجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 324.
(60) مجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 324.
(61) حاشية الدسوقي على شرح الدردير 1 / 423.
(62) حاشية الدسوقي على شرح الدردير 1 / 423.
(63) فتاوي ابن تيمية 31 / 42.

(64) تفسير ابن كثير عند قوله : «وان ليس للانسان الا ما سعى» 4 / 258.
(65) حاشية الجمل على تفسير الجلالين 4 / 236. ومجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 324.
(66) مجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 324.
(67) حاشية الجمل 4 / 236. ومجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 324.
(68) مجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 324.
(69) كتاب الروح ص 142.
(70) كتاب الروح ص 142 و 143.
(71) فتاوي ابن تيمية 24 / 315 ــ 316. و 31 / 41 ــ 42 و 24 / 324 و 24 / 300.
(72) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 298 و 24 / 317. الروح لابن القيم ص 10.
(73) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية 24 / 317.
(74) الروح، ابن القيم ص 11.
(75) الروح، ابن القيم ص 10.
(76) ابن تيمية ــ الفتاوي ــ 31 / 41.
(77) شرح الدردير على المختصر 1 423.
(78) فتاوي، ابن تيمية 31 / 41 ــ 42 و 24 / 298 و 24 / 301 و 24 / 317.
(79) فتاوي، ابن تيمية 24 / 298 و 24 / 317 و الروح لابن القيم ص 10.
(80) الروح لابن القيم ص 11.
(81) حاشية الدسوقي على شرح الدردير على مختصر خليل 1 / 309.
(82) الرحلة المراكشية 2 / 118.